مجلة شهرية

Issue No: 170 عدد:

October 2021 شهر تشرين أوَّل

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديس سابا العامر حصن الرُّوميَّة الأُرثوذكسيّة

أبوليتيكية للبار سابا – على اللحن الثامن: انَّ البريَّة الجدباءَ بهطل دموعك اخصبت. واتعابك الشاقَّة بتصعيد زفراتك اثمرت الى مئة ضعفٍ. فاصبحتَ كوكبًا للمسكونة يتلألأ بالعجائب يا ابانا البارَّ سابا. فتشفَّع الى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد اعادة رفات القديس سابا المتقدس.

26/10/2020

يقول **الرَّبُّ**: « تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ.» (متى ١١ : ٢٨-٣٠)

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيون الأتقياء

إنَّ **كنيسة أوروشليم المقدسة** لأنها سامعة للقول الكتابيّ المقدس ذِكْرُ الصِّدِّيقِ بالمديح. (أمثال ١٠: ٧) أو بتوضيح أكثر، أي أنَّ **ذكرى الصدّيق** هي ذكرى عطرة وأبدية تدوم إلى ما بعد الموت. هذه الذكرى تُوَقِّرُهَا بإكرام وإجلال **كنيسة أوروشليم المقدسة** وهي ذكرى إعادة **رفات جسد القديس سابا المتقدس** من **مدينة البندقية الإيطالية** إلى باحة ديره العامر الكريم بتاريخ ٢٦-١٠-١٩٦٥.

ولأنَّ **القديس سابا** كان يتوق لراحة نفسه وخلاصها، قَدِمَ من **كبادوكية** مسقط رأسه ولجأ (بالنسك) كالأيِّلِ إلى الينابيعِ الروحيَّة في صحراءِ اليهوديةِ في فلسطين حيث تتلمذ عند أقدام كبار معلمي الصحراء أمثال **ثيوكتيستوس وأفتيميوس الكبير**.

« اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.» (متى ١١:٢٩)، ويُفسِّر هذه الأقوال السيِّديَّة **القديس غريغوريوس النيسي** قائلًا: يقول المسيح أنَّ النِّير هو العمل بالوصايا لأننا سامعون وطائعون له فنحمل نير المسيح الذي هو المحبة ونلبسها لأنفسنا، وأمَّا **زيغافينوس** فيعلِّق قائلًا: لم يقل فقط متواضعًا بل متواضع القلب، متواضع النفس، متواضع الإرادة.

ويُفسر أبو الكنيسة **القديس غريغوريوس النيسي** بأنَّنا مدعوون أن نُلبس أنفسنا بالنير، أي نير محبة المسيح وهذا لأنَّ **القديس يوحنا السلمي** يقول: إنَّ المحبة في خواصّها هي نبع إيمان وبحسب **القديس يوحنا الدمشقي**: إن الإيمان اقتناع لا تَتخلّله أبحاث فارغة فبالإيمان نفهم خروج كل شيء من العدم إلى الوجود بقوة الله. وبالإيمان نُقَدِّر كُلّ الإلهيات والبشريات بِقَدْرِهَا.

إنَّ الإيمان هو بمثابة الأساس، فهذا يشدِّد عليه بوضوح **القديس بولس الرسول** في رسالته إلى أهل أفسس قائلًا: « بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أفسس ٣: ١٤-١٧) وعدا عن هذا فإنَّ **القديس يوحنا اللاهوتي** يكرز قائلًا: « وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا.» (١يوحنا ٥: ٤).

وهذا ما فَلَحَ فيه بالإيمان وأحرزَهُ **أبونا البار سابا** أي سُكنى المسيح في قلبه، لهذا فقد سَبَّح مع **صاحب المزمور** قائلًا: «أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. وَأَشْبَعُ عِنْدَمَا يَتَجَلَّى لِي مَجْدُكَ» (مزمور ١٦:١٥)، وبإسهابٍ أكثر أيْ أنا سأعمل الفضيلة، وبها سأرى وجهك يا رب وستشبع نفسي عندما ترى مجدك وبهاء وجهك. وقد أَصْغَى **أبونا البار سابا** لوصية **الرسول بولس**: « الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ.» (أفسس ٦: ١١ و١٣) ، لهذا فهو حَيٌّ إلى الأبد، وموضوعٌ أمام ناظرنا **بجسده غير البالي** الذي تَعْبَقُ منه الرَّائحة الذَّكية، كما تشهد **حكمة سليمان**: «أَمَّا الصِّدِّيقُونَ فَسَيَحْيَوْنَ إِلَى الأَبَدِ، وَعِنْدَ الرَّبِّ ثَوَابُهُمْ، وَلَهُمْ عِنَايَةٌ مِنْ لَدُنِ الْعَلِيِّ. فَلِذلِكَ سَيَنَالُونَ مُلْكَ الْكَرَامَةِ، وَتَاجَ الْجَمَالِ مِنْ يَدِ الرَّبِّ.» (حكمة٥:١٥-١٦)، أيْ أنَّ الأبرار يَحْيَوْنَ إلى الأبد وجزاؤُهم بيد الله، لهذا سينال هؤلاء مجد ملكوت السماوات من **الرَّبّ**.

وقد سمعنا بكرازة **القديس بولس الرسول** في رسالته إلى أهل رومية يقول: «لأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ، هكَذَا الآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ لِلْقَدَاسَةِ.» (رومية ٦:١٩)، أيْ أنَّه كما قدمتم سابقًا أعضاء جسدكم **للخطيئة** هذه التي تجعل الإنسان متعدِّيًا، وغير طاهرٍ، وذلك **لفعله المعصية**. فالآن عليكم أن تُقدِّموا أجسادكم لحياة الفضيلة لكي تنجحوا بالقداسة. لهذا فإنَّ **زيغافينوس**

يقول إنَّ البِرَّ هو حياة الفضيلة (التي يقصدها بولس الرسول)، وذلك من أجل القداسة وتقديسكم.

وبحسب **القديس باسيليوس الكبير** إنَّ القداسة هي أنْ يُكَرِّسَ الإنسان كُليًّا نفسه **لله القدوس**. وبحسب **القديس غريغوريوس النيسي** إنَّ **المسيح هو بِرُّ الله** الذي أُعْلِنَ بالإنجيل كما يقول الرسول بولس (رومية ١: ١٧). إذ أنَّ **الابن هو قوة الآب وكل أعمال الابن هي أعمال الآب**.

ولقد أصبح من الواضح أنَّ تقديسنا نحن المعترفين **بالمسيح** المصلوب والقائم من بين الأموات، يتطلب أوَّلًا بِرَّ الله كما أوصانا **الرَّبّ** قائلًا: « لٰكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ.» (متى٦: ٣٣). هذا له مكانةٌ خاصةٌ في الصلاة الربانيَّة التي تَسلّمنَاها وتعلمناها من **المسيح** نفسه «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هٰكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ.لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى الأَرْضِ.» (متى ٦: ٩-١٠).

ولنسمع أيضًا ما يوصينا به **الرسول بولس** الذي يتعلَّق بجميع المسيحيين وبالأخص نحن خادمي أسرار **المسيح** المُحْيِيَة الرَّهيبة والرهبان الذين يتنسكون بالروح في الصحراء « فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ.» (كو ٣: ١-٤).

ويعلِّق **القديس غريغوريوس النيسي** على هذه الأقوال: ولما كان فكرنا خاليًا من الأمور الأرضية، لذلك علينا أن نُشغل فكرنا بالأشياء العُليا حيث **المسيح**، فلا ننجرف بحياتنا الأرضية ولا نستمتع متلذِّذين بالخطايا كالبهائم لكي نكون مستوطنين السماويات ونصبح معايني **الله**.

لهذا فإنَّنَا مدعوون أيُّها الإخوة الأحبة للكمال بحياة **المسيح** ونكون مستوطنين المدينة السماوية المزمعة حيث قديسو **الله** في السماوات **ومخلصنا يسوع المسيح** لأن **بولس الرسول** يقول: «لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ.» (عبرانيين ١٣: ١٤). آمين

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

رفات القديس سابا

إنَّ البطريركية الاورشليمية قد وضعت هذا العيد في تاريخ ٢٦ اكتوبر غربي اي ١٣ شرقي من عام ١٩٦٥ تذكارًا لإعادة **ذخائر القديس سابا المتقدس** التي أُخذت الى **فينيسيا من قِبل الصليبيين** وأرجعت من **الكنيسة الكاثوليكية** الى **البطريركية الاورشليمية**. وقد رافق **الذخائر المقدسة** آنذاك عن البطريركية الأورشليمية المثلث الرحمات متروبوليت قيصارية باسيليوس، المثلث الرحمات متروبوليت البتراء جيرمانوس، المثلث الرحمات الرئيس الروحي لدير مار سابا الأرشمندريت سيرافيم، المثلث الرحمات الرئيس الروحي لدير مريم ومارثا الأرشمندريت ثيوذوسيوس، والشماس آنذاك سيادة متروبوليت الناصرة حاليًا كيريوس كيرياكوس. ودخلت **الذخائر** بموكب رسمي من بوابة داود في المدينة المقدسة أُورشليم، واستقبلها المثلث الرحمات البطريرك فينيذكتوس وعُرضت أمام الجمع في كنيسة الكاثوليكون في كنيسة القيامة للتبارك لمدة أسبوع؛ بعدها تم نقل

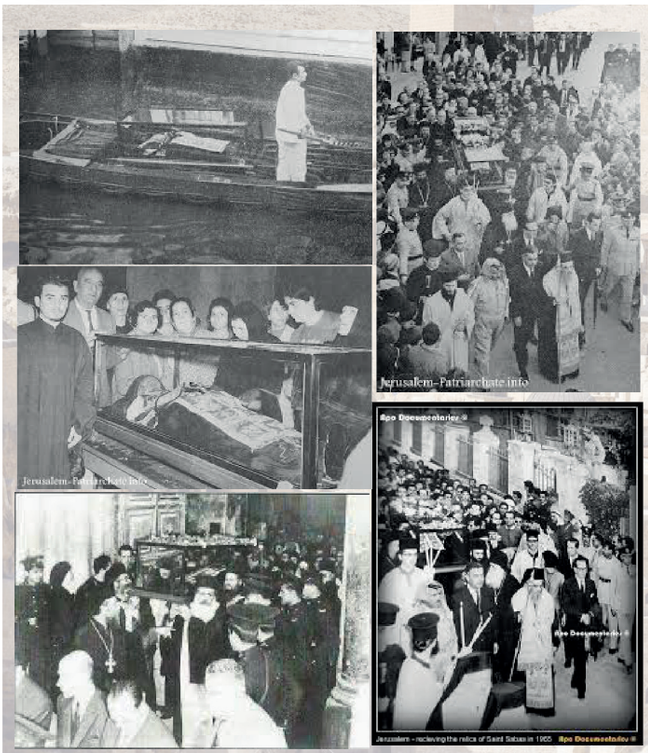

الرفات المقدسة الى الدير الذي بناه وأسَّسه القديس سابا، وتُحفظ حتى اليوم داخل كنيسة الدير وأصبحت مصدر قوة وتعزية لطالبي **شفاعة القديس سابا**.

إنَّ موضوع العلاقة بين **الناموس والنعمة** كما ظهر في العهد الجديد أو الإنجيل، هو هامٌّ جدًّا ونحن نتفرَّس في موضوع «النعمة». ذلك لأن الناموس (وسنشرح فيما بعد ما المقصود بالناموس) بالرغم من أنه كان واسطة مؤقتة للبشرية **التي سقطت بعد آدم**، إلَّا أنَّ بعض المسيحيين في الكنيسة الأولى الذين كانوا يهودًا قبلًا تمسَّكوا به **تمسُّكًا أعمى**، وحتَّموا وَحَكَمُوا على كل مَن يريد أنْ يصيرَ مسيحيًّا من الأمم من غير اليهود، أن يُتمِّم **مطالب الناموس** أولًا قبل الدخول في الإيمان المسيحي مثل: **الختان، حِفْظ السبت، الفرائض الطقسية، الامتناع عن المأكولات المعتبرة نجسةً في ناموس العهد القديم، وغير ذلك.**

إلَّا أنَّ **الكنيسة منذ عصر الرسل** حَسَمَتِ الأمر، وقرَّرَت **في أوَّلِ مجمع كنسي انعقد في أورشليم** ألَّا يُوضع على **غير اليهود** الآتين إلى المسيحية **أي ثقل من جهة الناموس ومتطلباته الطقسية التي كانت تُفرض على المتحوِّلين من الوثنية إلى اليهودية** (سفر أعمال الرسل: أصحاح ١٥).

لذلك سنفحص تلك العلاقة بين «**الناموس**» وبين «**إنجيل بِرِّ الله**» أو «**إنجيل النعمة**»، وكيف يسلك المسيحي السلوك الصحيح الذي يحفظه في ساحة الجهاد ليقف في النهاية مُبرَّرًا أمام الله.

وهنا نتقدم لنتأمل أوَّلًا **في ثلاث حقائق هامة** متصلة بموضوع العلاقة بين **الناموس والنعمة**، شرحها **القديس كيرلُّس الإسكندري** كمدخل لشرح العلاقة بين **الناموس والنعمة**:

١ – المسيح أساس الخليقة الأولى.

٢ – والمسيح أساس الناموس القديم.

٣ – والمسيح أساس الخليقة الجديدة.

ذلك لأنَّه قد يَظُنّ القارئ أنَّ **ابن الله الكلمة** لم يكن حاضرًا في **الناموس**، فلما أخفق **الناموس** أتى **المسيح**. لكن الواقع هو أنَّ **ابن الله الكلمة** كان حاضرًا منذ الأزل أي ما قبل الخليقة، ثُمَّ في الخليقة الأولى، ثُمَّ في **الناموس** فهو بنفسه مُعطي **الناموس**، ثُمَّ في الخليقة الجديدة حينما تجسَّد ليكون **المسيح** الذي له كلّ المجد، فهو الذي سيُكمِّل **الناموس**. وفي هذا يقول **القديس كيرلُّس الإسكندري** معلِّم الكنيسة الجامعة، موضِّحًا هذه الكلمات:

[**لا تظن أن الناموس القديم قد قرَّرَهُ الله وكأنه كان كافيًا لتحرير كل واحد من ديون عجزه البشري، ثم حينما أخطأ الهدف دبَّر الله طريقًا آخر هو الإيمان بالمسيح**، وكأن الله يستخدم تدبيرًا فكَّر فيه أخيرًا. لا، فالأمر لم يكن كذلك، وأبعد ما يكون عن ذلك، بل هو على العكس من ذلك].

إذن، ينفي **القديس كيرلُّس** أن يكون تدبير الإيمان بالمسيح قد فكَّر فيه **الله** لاحقًا بعد **عجز** البشر عن إيفاء متطلبات **الناموس**، أو بعد عدم تحقيق **الناموس** الهدف منه، إلَّا أنْ يكون «مؤدِّبنا إلى المسيح.» (غلا ٣: ٢٤).

فماذا وكيف كان الأمر، إذن؟

سرّ المسيح هو سرٌّ قديم جدًّا:

يُكمل **القديس كيرلُّس** حديثه في العظة رقم ٣٠ ليوضح حقيقة هامة:

[فمن المؤكَّد أنه حتى قبل أن يتكوَّن الإنسان من تراب الأرض، فإن الله الذي لم يكن يجهل ما سيتمُّ في المستقبل من جهة حِيَلِ الشيطان ومعاندته، أعدَّ مُسبقًا طريقة شفائنا، ألَا وهي **سرّ المسيح**. ولذلك وضع الناموس بواسطة موسى، والذي يمكنه أن يدين الخطيئة ويرفض الضعف الذي دخل في الجميع. وهكذا بحكمة يُعلن الوصية التي تدين الإنسان إذا ما خالفها، وذلك قبل مجيء نعمة التبرير، وذلك لكي تفيض النعمة جدًّا.

ومن السهل أن نلاحظ قِدَم **سرّ المسيح**، وذلك لأنَّ الرسائل المقدسة تُخبرنا بذلك. فالمغبوط بولس يقول: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحيَّة في السماويَّات في

المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم... إذ سبق فعيَّنَا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته، إذ اختارنا فيه قبل تأسيس العالم.» (أف ١: ٣-٥ حسب النص).

فها أنت تسمع كيف يقول **إنَّنا بوركنا قبل تأسيس العالم**، وكيف **سبق فعيَّنَا لنكون أبناءً له في يسوع المسيح**.]

سرّ المسيح قديم قبل الخليقة الأولى:

فواضحٌ جِدًّا من هذه العظة أنَّ **القديس كيرلُّس** يعتبر أن بركة تبنِّي الله للبشرية في المسيح **هي سابقة على بداية الخليقة**. فسَبْق التعيين كان سمة هامة في خليقة **الآب**. وبحسب **القديس كيرلُّس**، **فإنَّ الآب** سبق ورأى **السقوط**، ودبَّر الشفاء مُسبقًا. وهكذا فَسِرُّ **المسيح** لم يكن تدبيرًا متأخرًا؛ بل بالعكس فسرُّ **المسيح** قديمٌ، قبل الخليقة الأولى.

وحتى قبل الناموس:

والقديس كيرلُّس كان مُهتمًا جدًّا هكذا بأن يضع هذا التأكيد، حتى أنَّهُ يمضي فيقول فيما بعد في نفس العظة بأنَّ «**سِرُّ المسيح**» كان موجودًا حتى قبل **الناموس**. وهناك نصوص متعدِّدة في كتاب «**الكنوز**» تشير إلى كيف اجتهد **القديس كيرلُّس** لإظهار السرّ القديم الذي **للمسيح**، والعلاقة **بين المسيح والخليقة**.

فالقديس كيرلُّس يُفرِّق بين **الخليقة الأولى القديمة** وبين الخليقة الجديدة التي صارت **بقيامة المسيح**، ويشرح آية سفر الأمثال (٨: ٢٢) ، وآية رسالة كولوسي (١: ١٥)؛ حيث يقول **القديس بولس** فيها إنَّ **المسيح** «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.». فهذه الآيات تشير إلى **المسيح** كَبِكْرِ الخليقة الجديدة حينما **تجسَّد**، وفي الوقت نفسه تشير إلى أنَّ **المسيح** كانت له أيضًا علاقة **بالخليقة الأولى القديمة** مثل علاقته بالخليقة الجديدة.

الآب جعل المسيح أساس الخليقة الأولى:

فقبل خليقة الإنسان، كان **الآب** يعرف بسبق معرفته وقصده أنْ يكون **ابن الله الأزلي** قبل التجسُّد هو بداية طُرقه في خليقة الجنس البشري، **فجعل المسيح كلمة الله (قبل التجسُّد) أساس هذه الخليقة الأولى**. ثم يمضي **القديس كيرلُّس** فيشرح كيف أنَّ الجنس البشري خُلق أولًا في **المسيح**، وذلك حينما خُلق آدم. **تأمل في هذا النصّ وكلمات القديس كيرلّس الواضحة والمحدَّدة:**

[وهكذا دبَّر الآب، بسبق معرفته، ومنذ ما قبل الدهور، أنَّنَا إذ قد **تأسَّسنا على المسيح**، فإنَّنَا سوف نقوم ثانية إلى عدم الفساد، نحن الذين سقطنا وأصابنا الفساد بسبب المعصية. فهو كان **يعلم بأنَّنَا سنموت بسبب الخطيئة**، فهو باعتباره صانع وخالق الكُلّ، دبَّر من قبل ما يختصُّ بنا، فدبَّر وسبق ورأى الذي سيصير إنسانًا من أجلنا وبسببنا ليكون أوَّل طُرقه، ويجعله أساس الخليقة الجديدة. فطبيعة الإنسان سوف تتجدَّد في المسيح إلى عدم الفساد (الخلود)، وسيُعتبر المسيح هو البكر بين إخوة كثيرين، وسيقوم من بين الأموات كَبِكْرِ كل الراقدين.]

ولكي يؤكِّد **القديس كيرلُّس** تعليمه بأنَّ **الآب** منذُ ما قبل الدهور سبقَ فرأى ووضع **المسيح** ليكون الأساس الذي عليه يُبنى الجنس البشري، يمضي ويرجع إلى الرسالة الثانية إلى تيموثاوس (١: ٨-١٠): «اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله، الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى **القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزليةً**، وإنما أُظهِرَت الآن بظهور مخلِّصنا يسوع المسيح...».

كما يذكر **القديس كيرلُّس** أيضًا ما ورد في رسالة أفسس (١: ٣-٥) ما أوردناه سابقًا، ويفهم منها أنَّ **سبق معرفة الآب وقصده هما نعمة أُعطيت للبشرية**، ويمضي ليقول إنَّ هذه النعمة التي أُعطيت **في المسيح** لم تكن مجرَّد فكرة **في ذهن الآب**، فيقول:

[† الله الآب، إذ بسبق معرفته عَلِمَ ما هو لمنفعة الجنس البشري، وإذ عرف بأن الطبيعة البشرية يمكن أن تسقط تمامًا في الفساد (الموت)، وإذ رأى طريقة إقامتها من الفساد (الموت) إلى عدم الفساد (الحياة الأبدية)؛ **غرسَ جذور هذا الرَّجاء في ابنه**، فسبق وعيَّننا للتبنِّي لنفسه في المسيح، وجعلنا أهلًا لكُلِّ بركة روحيَّة في السماويات حتى مِنْ قَبْلِ أن نوجد، حتى متى حدث أنْ سقطنا في الموت بسبب (المعصية)، فإننا نزدهر مرَّة أخرى، ونخرج إلى الحياة، **من الجذر الأصلي (أو الأول) الذي هو المسيح**.

† وإذ سبق أن بوركنا من قبل، فلا نظل تمامًا تحت اللعنة بسماعنا «أنت تراب وإلى التراب تعود». لذلك، ، فقد سبق الله **ووضع المسيح ليكون أساسنا الذي عليه بُنينا**، وهذا كان قبل تأسيس العالم بمقتضى معرفة الله السابقة الذي يرى كل شيء، حتى يمكن أن ننال:

البركة، التي هي أقدم من اللعنة؛

وَوَعْدُ الحياة، الذي هو أقدم من حُكْم الموت؛

وحرية البنين، التي هي أقدم من العبودية للشيطان.

† **فطبيعتنا رجعت إلى البداية**، إذ تغلَّبت على ما أسقطها فيما بعد، **بنعمة الذي خلقها في المسيح**. وهكذا عادت ثانية إلى ما كانت عليه في سبق معرفة الله، حينما تعيَّنت للتبنِّي في الابن **بالابن**.]

إجابة جديدة على مشكلة قديمة:

وهنا يُعطي **القديس كيرلُّس** إجابة جديدة على **مشكلة قديمة**. فهو يتكلَّم عن **ابن الله** باعتباره الجذر الأصلي للخليقة الأولى، ثمَّ للخليقة الثانية بعد تجسُّده. **فالابن الكلمة هو الجذر الأصلي للبشرية منذ البدء، وهو أيضًا الجذر للبشرية الجديدة التي أزهرت منه ثانية بعد سقوطها في آدم**.

إذن، فالخليقة الجديدة في **المسيح** هي الرجوع – من بعد السقوط عن النعمة في الخليقة القديمة – إلى الأصل، إلى البداية.

وهكذا – كما يقول **القديس كيرلُّس** – فإنَّ مباركة الخليقة في **المسيح**

هي **مباركة أقدم من اللعنة، والوعد بالحياة الأبدية أقدم من حُكْم الموت، وحرية البنين أقدم من العبودية للشيطان**. ولولا أنَّ هذه البركات في **المسيح** الجذر الأول **للبشرية الأولى** أُعطيت **قبل سقوطها**، وليس كمجرد فكرة في ذهن **الآب**؛ ما كان **القديس كيرلُّس** قد أكَّد على أنَّ هذه البركات هي أقدم **من اللعنة بسبب السقوط**.

والنصّ التالي من كتاب «**الكنوز**» **للقديس كيرلُّس الكبير** يؤكِّد ما ذكره هو في النصّ السَّابق، ولكن بتشبيهات أخرى:

الله المهندس الحكيم لبناء البشرية:

[† إنَّهُ من الضروري أن نرى كيف أنَّ **حكمة الله** دبَّرت خلاصنا قبل الدهور، كما يبدأ مهندس حكيم في بناء منزل، ويضع تصميمًا متكاملًا حتى لا يتزعزع البناء كلَّما تقادم الزمن نتيجة العوامل التي تصيب المباني؛ فيضع حينئذ أساسًا راسخًا جدًّا، واضعًا في اعتباره أنْ يكون أساسًا وجذرًا لعمله، حتى إذا تأثَّرَ المبنى من أي شيء، يمكن إعادة بنائه مرَّة أخرى على نفس الأساس.

† فبنفس الطريقة، فإن خالق الكل وضع **المسيح** – مُسْبقًا – كأساس لخلاصنا حتى قبل بنيان العالم، حتى إذا حدث وسقطنا بسبب المعصية، يمكن لنا فيما بعد أن يُعاد بناؤنا من جديد على نفس الأساس، وهو **المسيح**. وهكذا حينما تحقَّق تدبير **الله** وقصده، كان **المسيح** موضوعًا قبل الدهور، أما التنفيذ فكان سيتم في ملء الزمان.

† **فنحن تجدَّدنا في المسيح في زمن مجيئه، لأن المسيح كان موضوعًا مُسبقًا لنا كأساس لخلاصنا.**]

وهذا يعني أنَّ سرّ خلاصنا في **المسيح** لم يكن بعيدًا أو منعزلًا عن سرّ خلقة الإنسان على أساس **المسيح**، لأنَّ **الخلاص** هو الاستعادة والرجوع بالبشرية إلى ما كان **الآب** قد خلقها لأجله منذ البدء: أنْ نحيا في **المسيح** من خلال **الرُّوح القُدُس**. وهذا هو القصد من خليقة الإنسان على صورة **الله**، والتي تعني العطايا المترتبة على ذلك: موهبة عدم الفساد (الخلود والحياة الأبدية)، البنوَّة لله بالتبنِّي.

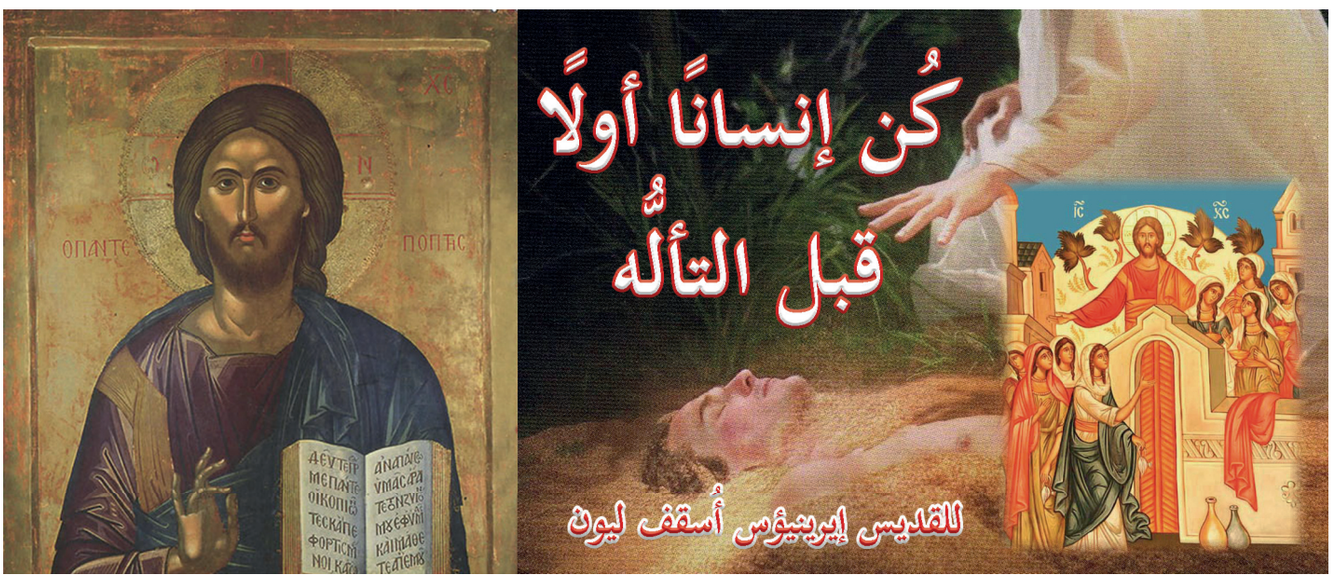

فكيف إذن سوف تكون إلهًا، بينما لم يتم صُنعك **إنسانًا** بعد؟

كيف ترنُو للكمال، في حين أنك لم تبدأ إلَّا حديثًا ؟

كيف تطلب الخلود، في حين أنك لم تُطِع الخالق في **طبيعتك المائتة؟**

فمن الضروري بالنسبة لك أنْ تُحقِّق **رتبة الإنسان** أوَّلًا، وبعد ذلك أن تشارك في مجد **الله**. إذ أنك لا **تخلق الله**، بل **الله** هو الذي يخلقك. فإذا كنتَ أنت هو عمل **الله**، فيجب عليكَ أن تنتظر يد **الله**، الذي يفعل كُلَّ شيء في الوقت المناسب، في الوقت المناسب بالنسبة لك – أنت الذي يتم صنعه وتشكيله. **قدِّم له قلبك**، لَيِّنًا وَمَرِنًا، واحتفظ بالشَّكل الذي صَمَّمَكَ عليه **المُصمِّم الخالق**، مُبقيًا في ذاتك على الماء الذي يخصّه، لئلا تتحوَّل **شخصًا جافًا** ومن ثَمَّ **تفقد** بصمة أصابعه. بحراسَةِ عمليَّة التشكيل هذه، سوف تصعد إلى الكمال. **الطين** الذي فيك سوف يتم إخفاؤهُ بواسطة فن ومهارة **الله**.

إنَّ اليد التي **خَلَقَتِ** المادة الخاصة بِكَ، وسوف يَتِمُّ طَلْيُكَ من الداخل والخارج **بالذهب الخالص والفضة**، فيتِمّ تزيينك بحيث يشتهي **الملك** ذاته **حُسنك وجمالك**. لكن إذا **تقسَّى قلبك**، ورفضت عمل **الله** الفني، غير ممتنٍ تجاهه، لأنه **جعلك إنسانًا، ناكرًا** للجميل، تكون قد **فقدت في آن واحد** ليس فقط عمله الفني بل الحياة ذاتها. فعملية الخَلْق هي سمة تختص بصلاح **الله**، بينما أنْ يتم خلقك وتشكيلك هي سمة تختص بطبيعة الإنسان.

ولذلك، إذا كنتَ تُقَدِّمُ له ما هو لكَ، أيِ الإيمان به والخضوع له، سوف تَتلقَّى عمله الفني وتصبح قطعة من عمل **الله** المثالي. ولكن إذا كنتَ **لا تؤمن به**، وتسعى للفرار من بين يديه، سبب النقص وعدم الكمال سوف يعود إليك أنتَ لكونك لم تُطِعْ، وليس للذي دعاك. إذ أنه قد **أرسل رُسلًا لدعوة الناس إلى وليمة**، ولكن أولئك الذين لم يُطِيعُوا **حرموا أنفسهم** من **المأدبة الملكية**.

الله سَلَّم **ابنه للموت**، قَدَّمَهُ ذبيحة لأجلك أَفَلَا تُعطِيهِ مجرد قطعة الخبز؟!

الله لم يُشفق عليه لأجلك، فهل تزدري بمن هو **ابن حقيقي**، وتتركه يتضوَّر جوعًا، بينما أنت تنفق على ذاتك من عَطَايَاهُ؟!

هل يمكن أن يوجد أسوأ من هذه المخالفة؟

فقد سُلِّمَ **للموت لأجلك**، ذُبِحَ **لأجلك**، وجال جائعًا من **أجلك**، وَأَعْطَى لك مِمَّا له، لكي تنتفع أنت ذاتك، ورغم كل هٰذا فأنت **لا تُقدِّم أي شيء؟!**

مَنْ هم هؤلاء الذين فقدوا الحسّ **كأنهم أحجار**، الذين على الرغم من الإحسانات الكثيرة التي كان ينبغي أن تجذبهم إلى **محبة المسيح**، إلَّا أنَّهم لا يزالون في هذه **الجفوة** أو **القسوة الشيطانية؟**

لأنه لم يكتفِ بموته وصلبه فقط، بل أنَّهُ قَبِلَ أن يصير فقيرًا، وغريبًا، وَمُشَرَّدًا، وعُريانًا، ومسجونًا، ويحتمل الآلام لكي يجذبك إليه، حتى وَلَوْ بهذه الطريقة. لأنَّهُ إنْ لم تبادلني العرفان بالجميل، لأني عانيت شيئًا من أجلك، قَدِّم لي رحمة بسبب فقري، وإن لم تُرِدْ أن ترحمني لأجل احتياجي أو فقري، فلتتحرك مشاعرك لأجل آلامي، ترفَّق بي لأجل سجني. وإنْ لم يجعلك كل هذا **مُحبًّا للناس**، اقبل المطلب الزهيد. لأنَّني لا أطلب شيئًا مُكلِفًا أو كثير النفقات، إني أطلب خبزًا، ومسكنًا، وكلمة مُعزيَّة. لكن إنْ كنتَ بعد كل هذا **لا تزال قاسيًا**، فعلى الأقل لأجل ملكوت السموات يجب أن تكون أفضل، ولو لأجل المجازاة التي وُعدتَ بها. فهل **لديك كلمة** تقولها عن هذه الأمور؟!

ليتك تترفَّق على الأقل أمام الطبيعة البشرية ذاتها، لأنك تراني عُريانًا، وتذكّر ذلك العُري الذي حدث فوق **الصليب** من أجلك. وإن كنتَ لا تريد أن تتذكر ذلك، فعلى الأقل تذكّر عريَ الفقراء الساكن أنا فيهم.

سُجِنْتُ **لأجلك** من قبل، والآن أُسجن **لأجلك** حتى تتحرك، سواء هنا أو هناك، لكي تصنع رحمة ما.

صمت **لأجلك**، وأيضًا أجوع **لأجلك**.

عَطِشْتُ عندما عُلقت على **الصليب**، وأعطَشُ في **الفقراء** الساكن أنا فيهم، حتى أنَّهُ بواسطة هٰذه وتلك، أجذبك إليَّ، وأجعلك **مُحبًّا للناس** من أجل خلاصك.

ولهذا فعلى الرَّغْمِ من أنَّكَ **مَدينٌ لي** لأجل إحسانات لا تُحصى، إلَّا أنَّني لا أطلب منك مكافأة كمن هو **مَدينَ لي**، بل أنَّني أُتوّجك كما لو كنت تمنحني عطايا كثيرة، وأَهَبُكَ الملكوت عِوَضًا عن هٰذه الأمور الصغيرة. لأنِّي أقول لك لا تهبني غِنًى، رغم أنَّني صرت فقيرًا **لأجلك**، بل فقط سَدِّد احتياجي. إنَّني أطلب فقط خُبزًا، وَمَلْبَسًا، وتخفيفًا للجوع. وإن كنتُ بعد قد أُلقيتُ في السجن، فإنِّي لا أطلب أن تَحُلَّ القيود وتخرجني خارجًا، بل أطلب شيئًا واحدًا، أنْ تراني وأنا مُقَيَّد **لأجلك**، وحينئذٍ ستَرث ملكوت السموات، لأجل هذا العمل فقط، على الرغم من أنَّني قد حللتك **من قيود مرعبة جدًا بل هي مُرعبة أكثر من غيرها**، إلَّا أنَّهُ يكفيني فقط أن تراني مُقيَّدًا، إنْ أَرَدْتَ. إنِّي أستطيع أن أُتَوِّجَكَ دون أن تراني هكذا، لكني أُريد أن أكون مدينًا لك. ومن أجل هذا، وعلى الرغم من أنَّه يمكنني أن أُطعم نفسي، فإنني أجول مُتَسَوِّلًا وأقف أمام بابك مادًّا **يديَّ**. لأني أشتهي أن تُطعمني، لأنَّني أُحبك جدًّا. ولهذا فإنَّني أشتهي مائدتك، وهذا هو حال الذين يُحبون، وهم يفتخرون بهذا. وحين يجتمع سكان المسكونة (يوم الدينونة)، عندئذٍ سأعترف بِكَ كمنتصر، وعندما يكون الجميع مُنْصِتين إليَّ وصاغين، سأعترف أنك أطعمتني يومًا ما.

أمَّا نحن، فعندما يطعمنا أحد، نخجل من هذا وُنخفيه، ولكن **المسيح** الذي له كُلّ تمجيد، لأنه يُحبنا جدًّا، فحتى لو صمتنا نحن، فإنه سَيُعْلِنُ في ذلك الوقت ما حدث بإطراء كبير، ولن يخجل أن يتكلم به، وذلك عندما كان عُريانًا وكسوناه، وكان جوعانًا فأطعمناه ..

شيء واحد فقط أريده منكم، **هو إثبات المحبة بالأعمال، والطاعة بالأفعال**. هذا هو المديح الذي أريده، فإنَّ ذلك يُعَدُّ رِبحًا لكم، ويُعتبر بالنسبة لي كَرامة تعلو على كَرامة الإكليل. إذًا انسجوا لكم ولي هذا الاكليل بواسطة الفقراء، حتى نتغذى معًا بالرجاء الصالح، وعندما نرحل إلى الحياة الأبدية، ننال الخيرات التي لا تُحصى، والتي ننتظر أن ننالها جميعًا، بالنعمة ومحبة البشر اللّتينِ **لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والرُّوح القُدُس** المجد والكرامة إلى أبد الأبدين. آمين.

أولًا: القديس ديديموس الضرير (القرن الرابع)

وهناك نموذج كتابي آخر يُوَضِّح أنَّ للثالوث طبيعة وقوة واحدة.

فقد دُعي **الابن** باليَدِ والذراعِ ويمين **الآب**. وكما كُنَّا نُعلِّم دائمًا أنَّ كُلّ هذه الاصطلاحات تشرح أنَّ الطبيعة الواحدة للثالوث القدوس المتساوي في **الجوهر**، ينتفي منها الاختلاف، فهكذا أيضًا قد دُعي **الرُّوح القُدُس** باصبع **الله** لأنه واحد في الطبيعة مع الآب والابن.

في أحد الأناجيل، عندما ازدرى البعض بمعجزات **الرَّبّ** قائلين: «بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ». (لو١١: ١٥). سُئِلَ **المخلص**، لماذا يقولون هذا، وأجابهم: «فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ!. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ بِأَصْبَعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ.» (لو١١: ١٩-٢٠). وعندما يذكر أحد الإنجيليين الآخرين هذه الحادثة، يُشير إلى قول **الرَّبّ**: «وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!» (مت١٢: ٢٨). ومن هنا فإنَّ النَّصين يوضِّحان أنَّ إصبع **الله** هو **الرُّوح القُدُس**. وهكذا، لو أنَّ الأصبع متَّحد باليد، واليد بصاحبها، فبلا أدنى شك يَنتسب الإصبع **لجوهر** هذا الذي له الإصبع.

ولتنتبهوا لئلا تنحدروا للأشياء الدُنيا، غافلين عن أي شيء نحن نتباحث، وتَرسمونَ بخيالكم هذا الكَمّ من الأطراف الجسدية، وتبتدئون تتخيَّلون لأنفسكم أحجامها، وتفاوتها، من حيث أنَّ هناك أجزاء أكبر وأصغر في الجسم، قائلين: «أنَّ الإصبع تَختلف تمام الاختلاف عن اليد، واليد بالمثل تختلف تمام الاختلاف عَمن يملكها» لأنَّ الأسفار تتحدث هنا عن الموجودات غير المادية، وهي تترفَّع عن الحديث حول أبعادها بل فقط تُعلن **وحدانية الجوهر**.

فكما أنَّ اليد تُصنع بها وتُنجز كافة الأشياء فهي غير منفصلة عن الجسم، وكما أنَّ اليد هي جزء من صاحبها، هكذا أيضًا فإنَّ الإصبع غير منفصل عن اليد التي لها هذا الإصبع. ولذلك فلتطرحوا عنكم التفاوت والأبعاد عندما تفكِّرون في **الله**، وتَتفهَّمون فقط **الوحدة** الموجودة بين الإصبع واليد والجسم كله، فَقَطْ بهذا الإصبع كُتِبَ **النَّاموس** على ألواح الحجر.

ثانيًا: القديس كيرلُّس الإسكندري (القرن الخامس)

« وَكَانَ يُخْرِجُ شَيْطَانًا، وَكَانَ ذلِكَ أَخْرَسَ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا:«بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ». وَآخَرُونَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ يُجَرِّبُونَهُ. فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ:«كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ، وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهِ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنِّي بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ. فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ! وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ بِأَصْبَعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحًا،تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ، وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ، وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ.» (لو١١: ١٤-٢٢).

كان التلاميذ **يهودًا، وأولادًا لليهود بحسب الجسد**، ولكنهم حصلوا على السلطان لإخراج **الأرواح النجسة**، فكانوا يُحرِّرون أُولئك الذين **تسلّطت عليهم الأرواح**، وذلك بدعائهم عليهم هذه الكلمات: «بِٱسم يسوع المسيح»، **وبولس** أيضًا **بسلطان رسولي**، أَمَرَ ذات مرَّة **روحًا نجسًا** قائلًا: «أَنَا آمُرُكَ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا!» (أع١٦: ١٨). لهذا فعندما يقول **المسيح** أنَّ أولادكم **يدوسون بعلزبول** بٱسمي .. فهو يقول إنَّكم **ستُدانون وتُوبّخون** بواسطة إيمان أبنائكم، لأنَّهم **قد أخذوا مِنِّي سلطانًا وقوَّة على الشيطان**، وإنَّهم **ضِدّ إرادته** يخرجونه من الذين يسكنهم، بينما أنتم تقولون إنَّني أستخدم **قوَّة الشيطان** في صنع المعجزات **الإلهية**. أمَّا وقد ثَبَتَ أنَّ ما تقولونه ليس صحيحًا، ولكن بالعكس **هو فارغ وهراء ومجرد افتراء**، فقد أصبح من الواضح أنَّني **أخرج الشياطين** بأصبع الله.

وهو يقصد بأصبع الله: **الرُّوح القُدُس**.

يُسمَّى **الابن** يد **الله الآب** وذراعه، لأنَّ **الآب** يعمل كل الأشياء **بالابن**، وبالمثل فإنَّ **الابن** يعمل **بالرُّوح القُدُس**.

كما أنَّ الإصبع لا يرتبط باليَدِ كعضوٍ غريبٍ عنها، بل ينتمي إليها بالطبيعة، هكذا يشترك **الرُّوح القُدُس** المُساوي **للابن** في **الجوهر** مع

الابن في الوحدانية، مع أنَّهُ من **الآب** ينبثق (يوحنا ١٥ :٢٦).

الابن يعمل كُلّ شيء **بالرُّوح** المساوي له في **الجوهر**.

وهنا **المسيح** يقول عن قصد إنَّهُ بإصبع **الله** يُخرج **الشياطين**، متكلمًا كإنسان، لأنَّ **اليهود بسبب حماقة عقولهم** ما كانوا ليتحمَّلوه لو قال «بروحي **أطرد الشياطين**».

فلكي يهدئ **من استعدادهم الشديد للغضب**، وميل ذهنهم للعجرفة والجنون، فإنه يتكلم كإنسان، مع أنَّهُ **هو الله** القدير بالطبيعة، وهو نفسه الذي يُعطي **الرُّوح من الله الآب** للذين يستحقونه، ويستخدم **كملك** خاص له، تلك **القوَّة** الخارجة منه، لأنَّ **الرُّوح** مساوٍ له في **الجوهر**، ومهما قيل أنَّ **الله الآب** يعمله، فبالضرورة يعمله **الابن** في **الرُّوح**.

يقول: «صرتُ بشرًا وطردتُ الشياطين بروح الله، فبَلَغَتِ الطبيعة البشرية فيَّ أنا أوَّلًا ملكوت الله، وتَمَجَّدَت بِقَهْرِهَا قُدرة إبليس وبانتهارها الأرواح النجسة الخبيثة ». هذا هو معنى كلامه:«فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!» (مت ١٢: ٢٨).

أمَّا **اليهود** فلم يفهموا سرَّ تدبير **الابن الوحيد** في الجسد، رغم أنهم كان ينبغي أن يتأمَّلوا أنه بواسطة **كلمة الله** الوحيد الجنس الذي تجسَّد – **دون أن يتوقف عن أن يكون كما كان دائمًا** – قد **جَدَّد طبيعة الإنسان**، إذ لم يستنكف من أن يأخذ وضاعتها على نفسه لكي يسكب عليها غناه الخاص.

.. **والمسيح** يستخدم مقارنة بسيطة وواضحة. لقد **قهر يسوع رئيس هذا العالم**. إنَّهُ **سَحَقه وجرَّده من كل قدراته**، وسلّمه فريسة إلى أتباعه (**تلاميذه**). لهذا يقول: «حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحًا،تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ، وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ، وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ.». هذا العرض نموذجي وسهل وموضوع بأسلوب بشري ..

كان **إبليس** قبل مَجيء **المُخلص** يتمتع **بقدرة عظيمة فيسجن في مَربَضِهِ** أُناسًا لم يكونوا له بل **لله**. **كان لِصًا وَقحًا وشَرِهًا**. ولما تأنس **كلمة الله** رَبّ القوات القدير الذي هو فوق كُلّ شيء هاجم **إبليس** وانتَزع منه ما كان يَعتمد عليه من سلاح، ووزَّع مغانمه. دعا **الرسل الناس الذين أوقعهم إبليس في شرك ضلاله** إلى الاعتراف **بالحقّ**، وأتوا بهم إلى **الله الآب** بالإيمان **بابنه**.

روت السيِّدة أنستاسيًّا لمياكي، القاطنة في شارع أخيليوس ٢٥، إيفوسموس في تسالونيكي – اليونان، العجيبة التي حصلت معها. لرئيسة دير ماليقي العامر للرُّوم الأرثوذكس:

عانت السيّدة أنستاسيًّا من الحكَّة الشديدة في رأسها، لدرجة أنها أحدثت لنفسها خدوشًا عميقة وأليمة. حتى أنَّ شعر رأسها بدأ بالتساقط، الأمر الذي أضاف حُزنًا الى الألم المستمر والمتواصل لفقدانها زينة وجمال ورونق شعر رأسها.

توجهت **السيّدة أنستاسيًّا** إلى أطباء الجلد لتلقي العلاج، ولكن للأسف الشديد لم تحصل على مرجوّها، وكانت النتيجة صادمة، إذ تفاقم مرضها بدل أن يخفّ أو يزول.

التقت **السيّدة أنستاسيًّا** إحدى صديقاتها الوفيَّات، والتي كانت على دراية بحالتها الصحيّة، حيث قدّمت لها **من الطيب المقدّس المنسكب من أيقونة ماليقي لوالدة الإله**، حيثُ قالت لها: «إنَّ الفائقة القداسة، عذراء ماليقي سوف تشفيكِ من مرضكِ المزمن».

فأجابتها **السيّدة أنستاسيًّا**: إنِّي أُعاني أيضًا من مرضٍ في العينين، إنّه مرضٌ نادرٌ جدًّا وصعب، ومع تقدم الزمن سأخسر نور عينيّ، حسب ما قاله لي طبيب العيون الذي يعالجني.

بعد تسلمها هذه البركة العظيمة، ذهبت للتوّ إلى بيتها، وبدأت بالصلاة والتضرّع بإيمانٍ، وشعور يتضمَّن الاحترام والتقديس والتوقير، وهي تذرف عبرات دموعها الحارّة.

فبعدما رشمت رأسها **بالطيب** بشكلِ صليب، حصلت الأعجوبة. عند الليل خلدت إلى النوم مثل فرخ الطير، وقد توقّفت الحكَّة تمامًا.

عند الصباح تساقط بعضٌ من شعر رأسها، وبعد يومين تساقط القليل جدًّا، وفي اليوم الثالث توقّف تساقط شعر رأسها تمامًا.

ومن المدهش في الأمر، أنّه بدأ ينمو شعر رأسها بأكثر كثافة.

إنَّ السيِّدة أنستاسيًّا ما زالت تقدّم الشكر والتمجيد والعرفان **لوالدة الإله** التي سكبت حنوّها وحنانها بواسطة **الطيب المقدس** الذي حقّق العلاج بصورةٍ عجائبيّة.

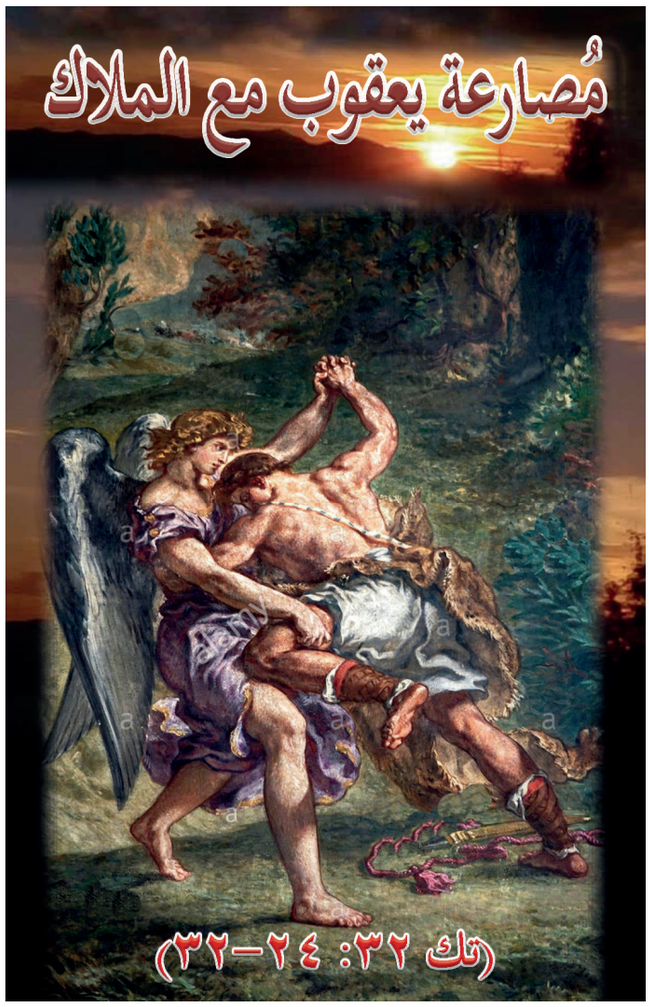

وَرَدَ في **الكتاب المقدس** مَثلٌ رائعٌ للتَغَيُّر، وهو **مصارعة يعقوب مع الملاك**. وهذا المثل فيه توضيح بديع للطريقِ الذي يضعه لنا الإنجيل، ألَا وهو **الدخول في معركة داخلية مع الذَّات** بغرض نوال المصالحة وتغيُّر القلب.

فيعقوب وعيسو توأمان تصارعا أوَّلًا في بطن **رفقة** (تك ٢٥: ٢٢)، ثُمَّ «كَبِرَ الْغُلاَمَانِ، وَكَانَ عِيسُو إِنْسَانًا يَعْرِفُ الصَّيْدَ، إِنْسَانَ الْبَرِّيَّةِ، وَيَعْقُوبُ إِنْسَانًا كَامِلًا يَسْكُنُ الْخِيَامَ.» (تك ٢٥: ٢٧). وبعد ذلك أخذ **يعقوب** مكان **عيسو** حينما **سَلَبَهُ حقّ البكورية والبركة الأبوية**.

† ففي المرحلة الأولى، نجد أنَّ **عيسو** قد عاد من الحقل وهو مُجهدٌ جدًّا **وقد قَبِلَ أن يبيع** حقه في البكورية **ليعقوب** مقابل **أكلة عدس**.

† وفي المرحلة الثانية، نجد أنَّ **يعقوب قد سَرَقَ البركة الأبوية** التي كان **إسحق** ينوي مَنْحَهَا **لعيسو**، الأمر الذي جعل **عيسو** يمتلئ **بالكراهية** تجاه أخيه ويضمر الانتقام لنفسه. (تك ٢٧: ٤١).

بدء التغيُّر: إقصاء القوة التدميرية في الإنسان:

† وبناءً على نصيحة **رفقة**، هرب **يعقوب** من وجه أخيه إلى **لابان خالِهِ** الذي **استعبده** لمدة ٢٠ سنة، بعدها أراد **يعقوب** أن يرجع إلى بيته إلَّا أنَّهُ لم يكن بعد قد حصَّل شيئًا يُذكر. ولكنه بعدما سمع صوت **الله** قائلًا له: «ارْجِعْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ، فَأَكُونَ مَعَكَ». (تك ٣١: ٣)، قَرَّرَ أن يعود إلى عائلته، الأمر الذي يُحتِّم عليه المواجهة مع **غضب أخيه**. وهنا وجدت «**عناية الله الفرصة مواتية**» لتغيير قلب **يعقوب** عن طريق منحه بركة **إلهيَّة** تتمثَّل في «**إقصاء قوته الذاتية**»، وهذا الإقصاء تمَّ بطريقة مُدهشة بواسطة **الملاك** الذي صارعه حتى مطلع الفجر، حيث ضربه على حُقِّ فخذه. ولكنه في النهاية منحه تلك البركة العظيمة والتي بها تحوَّل قلبه تمامًا، فمات فيه العتيق «**يعقوب**»، ووُلد إنسان آخر جديد هو «**إسرائيل**». لذلك قال له **الله**: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ.» (تك ٣٢: ٢٨).

إمكانية تَحوُّل القلب:

لقد تقابل **يعقوب** مع **القوة التدميرية الكامنة بداخله**، وذلك من خلال تقابله مع **الله** «وَجْهًا لِوَجْهٍ» (تك ٣٢: ٣٠)، وهذا التقابُل حرَّر **يعقوب من الخوف المسيطر عليه** حتى أنه ذهب لملاقاة أخيه: «وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ.» (تك ٣٣: ٣).

هذه الفقرة من الكتاب المقدس ذات مغزى واضح، إذ أنَّها تتعرَّض لعملية «تحوُّل القلب»، كما أنَّها تُظهر لنا وبقوَّة أنَّ **عدونا** ليس **خارجيًّا**، وإنما هو **كامنٌ في داخل نفوسنا**. فالحرب إذن، ليست هي التحرُّر من الخارجي، ولكن بالأحرى **من الداخلي**. و«تحوُّل القلب» هو تحوُّل في النظرة، **فيعقوب** لم يَعُدْ يرى في **عيسو** شخصًا قاتلًا، وإنَّما رأى فيه شخصًا حاملًا لصورة **الله** (قارن تك ٣٣: ١٩). **ويعقوب** الذي قَبِلَ عمل **الله** في قلبه أصبح الآن معتمدًا على البركة **الإلهية**، وأصبح لديه اليقين بأنه مُبارَكٌ ومحبوب من قِبَل **الله**. ولذلك تقدَّم في ثقة ومحبة ليتقابل مع **عيسو**.

أثر تحوُّل قلبنا في تحوُّل قلب الآخر أيضًا:

أما بالنسبة **لعيسو** فقد تجرَّد من وحشيَّتِهِ نتيجةً لاتضاع **يعقوب** الذي سجد أمامه على الأرض. فَتَحَوُّل **يعقوب** إذن، تبعه تحوُّل أيضًا في فِكْرِ **عيسو** حتى أنَّهُ تركَ غضبهُ... «فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ، وَبَكَيَا.» (تك ٣٣: ٤).

الوداعة نتيجة التحوُّل:

واتضاع **يعقوب** يتفق مع معنى الوداعة الذي ورد في **التطويبات**. فالوداعة هي حنوٌّ على كل الخليقة، وهو ما تَمَّ التعبير عنه في الحوار الذي دار بين الأخوين المتصالحيْن. فبعدما قَبِلَ **عيسو** هدايا **يعقوب**، قال له: «لِنَرْحَلْ وَنَذْهَبْ، وَأَذْهَبُ أَنَا قُدَّامَكَ». «فَقَالَ لَه (**يعقوب**): «سَيِّدِي عَالِمٌ أَنَّ الأَوْلاَدَ رَخْصَةٌ، وَالْغَنَمَ وَالْبَقَرَ الَّتِي عِنْدِي مُرْضِعَةٌ، فَإِنِ اسْتَكَدُّوهَا يَوْمًا وَاحِدًا مَاتَتْ كُلُّ الْغَنَمِ.» (تك٣٣: ١٢-١٣). **فيعقوب** قد دخل أرض الأحياء لأنه واجه ضعفات نفسه، واجه هشاشة موقفه، فأصبح حسَّاسًا لضعف الآخر. لذلك سار مع الضعفاء من عشيرته لكي يكون سندًا لهم وقت الضيق.

للخدَّام: الخدمة يجب أن تكون مصحوبة بالوداعة:

وهذا الموقف السابق، موقف **يعقوب** من الضعفاء، يوضح أنَّ الخدمة

يجب أن تكون مصحوبة بالوداعة أي بالحنوّ على المخدومين، وعلى هذا الأساس قامت الرهبنة في العصور الأولى واستمرت إلى الآن. **فالراهب** هو مَن يضع نفسه عن البشرية كلها في وداعة حقيقية. وعلى هذا فمَن أراد أن يقوم بخدمة أيًّا كان نوعها، فليتحلَّ **بالوداعة**.

في الوداعة، لا مكان للغضب والكراهية والانتقام:

ومن جهة أخرى يمكن القول بأن مَن دخل في المفهوم الإنجيلي **للوداعة** يكون بالطبع خاليًا من **سيطرة الغضب والكراهية والانتقام** على حياته. فلأنه يضع ثقته بين يدي الله، لم يَعُدْ له الغرض في «**أن يكون**»، بل في قبول «**ما هو كائن**». وهذا الوضع الرُّوحي يلزمه بالطبع يقظة روحية لكي يستطيع الإنسان أن يحتفظ بوداعته، لأنَّ **الشهوات والميول** تبقى كامنة داخل النفس، تنتظر الوقت الذي تتحرَّر فيه من عقال الوداعة لتعاود **السيطرة على النفس مرَّة أُخرى**.

الوديع هو الشخص القريب من كل أحد:

لقد لمست محبة الله قلب **يعقوب** فجعلته يتعامل مع الآخر من منطلق هذه المحبة، أي أنَّ **يعقوب** أصبح وديعًا وقريبًا من كل أحدٍ، أصبح يرى «**الآخر**» من منظار الله. لذلك أصبح يفرح بالمواهب التي حَبَا الله بها هذا «**الآخر**».

ويُعلِّق **القديس غريغوريوس النيسي** على قول **داود** في (مز ٢٦: ١٣): «... أُومن أَني رأيتُ خيرات الرَّبّ في أرض الأحياءِ.»، بأنَّ جنَّة عدن قائمة في كل وقت، إن اكتشفنا نحن الخيرات الموجودة من حولنا وفَرِحْنَا بما وهبه الله لإخوتنا.

الوداعة تقود الإنسان إلى معرفة مقاصد الله:

فالنفوس الوديعة فقط هي التي تكتشف أنَّ «الكُلّ» هو هبة من الله. وهذه النفوس تمتلكها الدهشة والفرح معًا كلما تأملت عطايا **الخالق** لخليقته. فبالحقيقة إنها ترث الأرض – كما جاء في التطويبات – لأنها عرفت كيف تتعامل مع الخليقة كهبة **إلهيَّة**، عرفت كيف ترى الجمال ببساطة إنجيلية، عرفت كيف ترى في الأحداث العارضة معنىً عميقًا وتجديدًا لصالح **الكنيسة**. لهذا، **فبساطة القلب التي مصدرها الوداعة – وليس الجهل** – تصل بالإنسان إلى أن يكون حكيمًا حقيقيًّا من خلال تأملاته في مقاصد الله من الأحداث صغيرها وكبيرها، لأن الشخص حينئذ يكون مشدوهًا بتسيير الله العجيب للكون بما فيه، حتى أنه يُفسِّر كل الأشياء، ليس من خلال رؤيته الشخصية، ولكن بإرجاعها إلى مقاصد الله التي تقود الكل في طريق الكمال.

فالنفس الوديعة تصبح مع الوقت «مُعَلِّمًا» يستطيع أن يَسْتَخْلِصَ من الحوادث المادية رؤية صحيحة تمنع الناس من التخبُّط يمينًا ويسارًا في تفسير الأحداث المحيطة بنا. ولسان حال النفس الوديعة هو **التسبيح** بغرض تمجيد الله على حضوره في كل شيء. فأرض الأحياء إذن، هي مكان **التأمُّل** في محبة الله وعنايته، ومكانها هو حيث يوجد **الوداعة**.

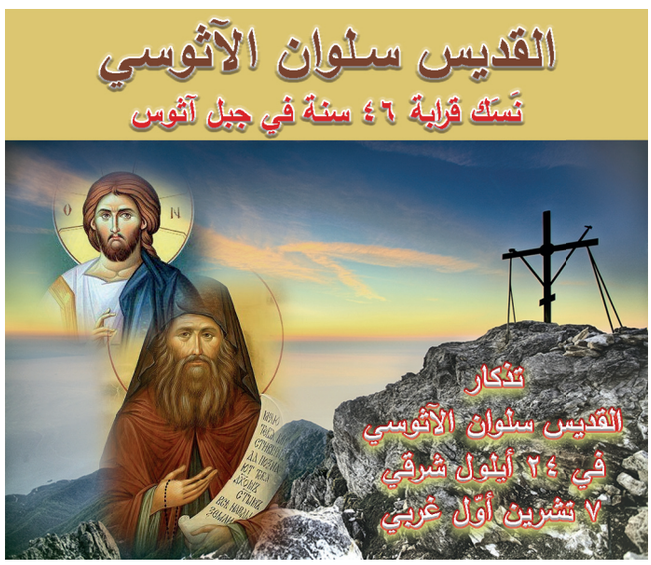

تتالت الأشهر، والهجمات والعذابات والضربات الشيطانية ازدادت، وَقِوَى الرَّاهب المبتدئ الجسدية بدأت تضعف. تخلت عنه شجاعته، وغلب عليه حِسّ الخوف من الهلاكِ، واليأس اقتنصه. وشيئًا فشيئًا اقتحم كل كيانه الهلع **من الجحيم**. ذاب **الأخ سلوان** ووصل إلى درجة من **اليأس متناهية ومرّة**، وإذ كان قابعاً في قلايته غسق أحد الأيام أي قبيل الغروب فكَّر: «إنَّ الله قاسٍ وليس باستطاعتنا ثنيه أو التأثير عليه». في تلك اللحظة أحس بشعور **من التخلّي الكامل**، وغرقت روحه **في ظلمات قلق جحيميّ**. أمضى ساعة وهو في هذه الحالة.

وفي اليوم ذاته، خلال خدمة الغروب في **كنيسة النبي إيليا، المقامة في المطحنة**، وإلى يمين الأبواب الملوكية، في المكان التي توجد فيه أيقونة المخلص، رأي **المسيح حيًّا**.

هكذا بعنايته التي لا يُسبر غورها، التي لا حَدَّ لها ظَهَرَ **السيّدُ الرَّبُّ** للرَّاهب المبتدئ. ظهر في ملءِ كيانه، في الجسد، وملأ سمعان بالنار وبنعمة **الرُّوح القُدُس**، تلك النار التي بحلولها، نزل **السيّد** على الأرض (لو ١٢: ٤٩). وبفعل تلك الرؤيا وذاك الظهور الإلهي أحس **سلوان** بالإنهاك. فاختفى **السيّد**.

أنه لمتعذر، لا بل من المستحيل، وصف أو تحديد الحالة التي وَجَدَ فيها **سلوان** نفسه في تلك اللحظة. لكنَّنا نعرف من كلمات وكتابات المغبوط الستارتز **سلوان** أنَّ نورًا إلهيًّا عظيمًا أضاءه فنقله من هذا العالم وغبَّطه بالرُّوح في السماء، **فسمع كلمات لا يُنطق بها**. في تلك اللحظة، وُلِدَ مُجددًا مِنَ العُلى. إنَّ نظرة **المسيح** العذبة المشعّة بالفرح، الغامرة كل شيء والكليّة الطيبة، اجتذبت **سلوان** بكليته. ثم غابت الرؤيا، لكن عذوبة الحبّ **الإلهي** نقلت روحه إلى تأمُّل للإلهيات يفوق كل منظر عالمي.

المرجع: القديس سلوان الآثوسي (الذي أعلنت قداسته عام ١٩٨٧ م) للأرشمندريت صفروني، إصدار دير مار يوحنا، لبنان.

إنَّ الكثير من المجتمعات في عالمنا المعاصر يمكن أن نُطلق عليها «**مجتمعات انفصالية**»، وذلك لأنها مجتمعات «**بدون آباء**»، وهي على النقيض من **شعب إسرائيل** الذي كان يعرف **الله** على أنَّه «**إله إبراهيم وإسحق ويعقوب**». **فالله** هو **إله الرُّسل والإنجيليين**، هو **إله الذهبي الفم، وأثناسيوس، وغريغوريوس، هو إله باسيليوس، وكيرلُّس، ويوحنا الدمشقي**؛ هو إذن **إله آبائنا**.

والكنيسة ليست مجتمعًا بدون **آباء**. فهي تجد في علاقتها بـ «الأب» وبـ «الآباء» أساس قوتها وسموّها، أساس محبتها وفرحها. وبالنظر إلى **طبيعة الله** ومقارنتها بطبيعتنا، نجد أنَّهُ ليس لنا من «أب» سوى **الله**، وهذا **ما** أكَّده **المسيح** نفسه لنا: « وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ.» (مت ٢٣: ٨-١٠).

لذلك **فالله** خالقنا وواهب الحياة هو وحده جدير **بالأُبوَّة**. وعلى هذا الأساس، **فالأبوَّة** الروحيَّة والجسديَّة لا تأخذ شرعيتها إلَّا من هذا المنطلق. فمحبتنا، إذن، **لآبائنا** يجب أن تكون محبة ناضجة نابعة من محبتنا **للآب الحقيقي** حتى لا تنحرف بنا إلى **تأليه كاذب للإنسان**. **والقديس بولس الرسول** كان واضحًا جدًّا في هذا الموضوع، إذ يقول: «بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ.» (أف ٣: ١٤و١٥). فهو يؤكِّد جلال عظمة **الله** وقدرته ومحبته؛ إلَّا أنه لا ينفي دور الإنسان في التبشير بالخلاص، والذي هو دور **الكنيسة** أيضًا، إذ يقول: «لَيْسَ لِكَيْ أُخَجِّلَكُمْ أَكْتُبُ بِهَذَا بَلْ كَأَوْلاَدِي الأَحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ. لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ، لكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ. لأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ.» (١كو ٤: ١٤و١٥).

فالله وحده هو «**الآب**»، ولكن أُبوّته الفريدة هذه تصل إلينا عن طريق التعليم والصبر والحبّ من أولئك الذين يلدوننا على طريق الحياة.

وعلى هذا المفهوم يوضِّح لنا بول إفدوكيموف *Paul Evdokimov* أنَّ: « الأب الروحي ليس أبدًا هو القَيِّم على الضمير، فهو لا يلد أولادًا روحيين له هو، وإنما هو يلدهم **لله**، يلدهم أحرارًا ناضجين...».

مَن هم آباؤنا؟

الآن، وقبل أن نسأل عن معنى تعبير «**إلٰه** آبائنا»، يجب أن نعرف أولًا: مَن هم **آباؤنا** هؤلاء؟

إنهم هم الذين أوصلونا بزمن **المسيح**؛ وهم الذين نقلوا إلينا **تراث الرُّسل الإيماني**؛ هم سبَّحوا **الله**، وتركوا لنا خبراتهم في التسبيح؛ هم الذين وضعوا الأعياد والمناسبات التي تُنعشنا روحيًّا؛ وهم في النهاية الذين **أرسوا قواعد الحياة الرُّوميَّة الأرثوذكسية وعرَّفونا بالأسرار**، فانتقلوا بنا من **الحياة المادية** إلى الحياة الأخرى روحيًّا وفكريًّا.

الآباء الأساقفة:

ونستطيع أن نقول إنَّه في القرون الأولى من عمر **الكنيسة** كانت مسئُولية التعليم تقع على عاتق **الأساقفة** الذين خلفوا **الرُّسل**. لذلك فهؤلاء **الأساقفة** هم أوَّل مَن انطبق عليهم صفة **الأُبوَّة** الروحية (**بعد الرُّسل والإنجيليين**)، وذلك لأن **الأسقف** هو الرئيس والرأس لجماعة الكنيسة، وذلك على غرار **رؤساء أسباط إسرائيل** الذين كان كل واحد منهم «أبًا» للسِّبط كلّه. **والأسقف كرئيس كهنة** هو الذي يرأس المحفل الليتورجي كما كان الأب **في الطقس اليهودي** هو الذي يرأس وليمة العُرس، هذا من ناحية **التقليد**؛ أما حياتِيًّا، **فالأسقف** هو الذي ينقل تعاليم الآباء الرسل وتعاليم الإنجيليين إلى كل فرد حتى ينمو إلى «ملء قامة» **الابن**، لذلك فهو جدير بالأبوَّة. وفي النهاية، **فالأسقف** هو «**أب**» لأنه يتمتع بالحقّ مع الرحمة اللتين هما هبة **الله** له وبهما يجمع أولاد **الله** المشتَّتين إلى وحدة **حقيقيَّة**.

وقد حدث في **مسيرة الكنيسة الخلاصيَّة** مجادلات عقائدية ظهر على أثرها اللاهوتيون كمدافعين عن العقيدة، وضحدوا **عقائد الهراطقة**

المضلّلة، وذلك **في المجامع المسكونيَّة السبعة**. لذلك وجب أن يمتد مفهوم الأبوَّة ليشمل **اللاهوتيين** من غير الأساقفة، وذلك إن كانت تعاليمهم حاملة **للبذار الإلهية**، أي تعاليم مثمرة تلد صاحبها **لله** ابنًا. ومن هذا المنطلق يُصرِّح **القديس إيرينيئوس أسقف ليون:** (١٣٠-٢٠٠م) في كتابه **ضد الهراطقة:** « مَن علَّمني حرفًا، كنت له ابنًا وكان لي أبًا». كما يقول **العلاَّمة كليمندس الإسكندري:** «إنَّ الألفاظ هي ذريَّة النفس، ولذلك ندعو الذين علَّمونا آباء، وكل إنسان يتلقَّى العلم يكون ابنًا لمعلِّمه».

﴿ ولكن ليس معنى هذا أنَّ كُلّ الكُتَّاب الكنسيين معتبرون داخل الكنيسة «آباء». فمثلًا ترتليانوس (رقَدَ عام ٢٢٠م)، وهو أب علوم اللاهوت في كنيسة روما، إذ له تأثير كبير في اللاهوت اللاتيني وهو من أكثر الكُتَّاب دقة في انتقاء الألفاظ والمصطلحات اللاهوتية، وقد كتب باللاتينية بالأكثر، إلَّا أنَّهُ **سقط في بدعة المونتانية**. لذلك فهو يُعتبر **كاتبًا كنسيًّا بالدرجة الأولى**، ولكنه ليس **أبًا في الكنيسة**.

البدعة المونتانية: عَلَّم **مونتانوس المُنشَقّ** بأن الإعلانات الإلهية الفائقة لم تنتهِ بنياحة الرُسل. بل أنه من المتوقع وجود إعلانات أكثر عجبًا من عصر الرسل وذلك بتدبير الباراقليط. بهذا ظهرت حركة الانفعالات العاطفية المثيرة بين المسيحيين في آسيا الصغرى، عرفت بالهرطقة الفريجية *Phrygian heresy*، كما عرفت باسم مؤسسها «المونتانية» *Montanism*.»، يرى البعض أن مونتانس ادعى أنه الباراقليط، لكن أغلب الظن أنه ادعى بأنه أداة تتمتع بوحي الرُّوح القُدُس الذي ينطق على لسانه. فكان أتباعه يحسبون أنَّ كلماته هي كلمات الله نفسه.

وأيضًا أوريجانوس (رَقَدَ عام ٢٥٣م) فهو واحد من أعظم العقليات في تاريخ الكنيسة ومن أشهر علمائها، وقد حمل في قلبه غيرة روحية وفي جسده نُسكًا شديدًا ومحبة كبيرة للمسيح يسوع، كما اعترف بالإيمان في فترة الاضطهاد؛ ولكنه كان يفتقر إلى اتِّباع الآباء واتزان الفكر اللاهوتي، فسقط في عدة بِدَعٍ فكرية ولاهوتية منعته من أن يصبح أبًا بين الآباء الكنسيين.﴾ (١)

آباء الكنيسة:

أمَّا مَن يريد أن يتعرَّف على الآباء ويتخذهم مُرْشِدِينَ له، فما عليه إلَّا أن يرجع إلى **التراث الأرثوذكسي**، ويقرأ لهؤلاء الآباء بروح البنوَّة وليس **بعقل متشكك**؛ وحينئذ سيعرف مَن هم: **كليمندس الروماني، وإغناطيوس الأنطاكي، وبابياس، ويوستينوس الشهيد، وكيرلُّس، وباسيليوس، وغريغوريوس، وأنطونيوس، وباخوميوس، ومكاريوس**... إلخ. وغير أولئك الكثيرين مِمَّن حفظوا لنا وديعة الإيمان بصبرهم وجهادهم ومحبتهم. فمَن يريد إيمانًا نقيًّا، ومَن يريد تسابيحَ عذبة، ومَن ينشد تفسيرًا للكلمة؛ عليه الرجوع إلى **الآباء**، ولذلك يقول **فنسنت من الليرين Vincent de Lerins** (٤٥٠م):

[إذا اعترضنا عارضٌ جديدٌ ولم نستطع أن نُفَصِّلَ فيه، فعلينا أن نرجع إلى الآباء القديسين، وذلك على الأقل لأنهم كانوا يعيشون في «وحدة الشركة والإيمان»، وكانوا معلِّمين فُضلاء. فكل ما وصلوا إليه يجب أن ننظر إليه على أنه المنهج الصحيح للكنيسة دون شَكّ أو ريبة].

فالآباء، إذن، هم خُدَّام الوديعة الإلهية، هم الذين حباهم **الله** التمييز لكي يُفسِّروا الإنجيل ليس فقط من خلال توضيح وشرح آياته، ولكن أيضًا من خلال **حياتهم الإنجيلية**.

المسيح أَجْلَى القديم، والآباء ربطونا بالمسيح:

إنَّ **العهد القديم** قد شرحه **المسيح** باقتدار حينما أتمَّ رسالته، إذ أتَى إلينا وقدَّم نفسه ذبيحة عنَّا، وقَبِلَ الموت في جسده على **الصليب**، وحينما نطقَ وقال: «قد أُكْمِل»، كان قد كشف بهذا **سِرّ الفداء المخفي في طيَّات العهد القديم**. فبتقديم **المسيح** ذاته على **الصليب**، توحَّد العهدان في عقيدة واحدة تجمع في انسجام **إلهي** وصايا **العهد القديم** ونعمة العهد الحديث. **فأسد يهوذا هو الخروف المذبوح** الذي أعاد لنا الغلبة ثانية، وفكَّ سبعة ختوم السِّفْر (راجع سفر الرؤيا – الأصحاح الخامس). وكذلك طعنة الحربة في جنب **المخلِّص** قد أكملت بالحقيقة ما فعلته عصا **موسى** التي ضرب بها الصخرة، إذْ أنَّ جنب **الرَّبّ يسوع** المفتوح تفجَّرت منه ينابيع العهد الجديد، ولذلك يقول **العلاَّمة أوريجانوس:**

﴿«لو لم يكن المسيح قد ضُرب، لو لم يكن قد خرج من جنبه الماء والدَّم، لكُنَّا سنُعاني حتى الآن من العطش لكلمة **الله**». ولكي يخرج المسيح من القبر كان لابُدَّ أن يُدحرج الحجر عن بابه، هذا الحجر الذي هو من الأرض، هذا الحجر المادي هو هو الذي يمنع عنَّا نعمة الانطلاق إلى الحياة الجديدة مع المسيح.»﴾

إذن، **فالمسيح** قد غطَّى كُلّ **العهد القديم**، أما **الآباء** فَهُم الذين قد وضعونا على طريق الحياة (أي **المسيح**). **والقديس كيرلُّس الإسكندري** يوضِّح ذلك قائلًا:

﴿اختبروا أنفسكم، هل لا تزالون في الإيمان! لأن حُبّ الذَّات يمكن أن يُخرِج الإنسان عنِ الطريق القويم ويُبعده عن الإيمان النقيّ... فروح الإنسان لا تقبع في الخطأ، وإنما تُصحِّح من وضعها إن عكف الإنسان على قراءة أعمال الآباء **الأُوَل** الذين عرفتهم الكنيسة الأرثوذكسية... فكل الأنفس المستقيمة الغرض تجتهد في اتِّباع أقوال الآباء (لكي تصل إلى المسيح)، لأنه بعد أن يمتلئ الإنسان من المبادئ الإنجيليَّة والرسوليَّة، وبعد أن يغترف من كتابات الآباء إيمانًا نقيًّا سيصبح هو نفسه «نورًا في العالم»﴾.

الآباء هم أُصُولنا الأولى:

فالتأمُّل في الكتب المقدسة بناءً على أصول **آبائية** يوقظ فينا الرُّوح، ويقودنا إلى سبيل الإيمان القويم، ويُنير طريقنا بكلام الحياة. على أنَّ الرجوع إلى الآباء كمصدر روحي عملي لِنمُوّنا وتفاعلنا مع المجتمع لا يعني بأيَّة صورة **أننا رجعيون**، وإنما يعني أنَّنا كنيسة ذات مرجعية، كنيسة ذات أصول قوية تمتد إلى **المسيح** نفسه. ولذلك كان **القديس إغناطيوس الأنطاكي** يقول لمحدِّثيه بأنه لا يثق إلَّا في سِجلاَّته (أي

الإنجيل والآباء)، لأنها لا يمكن أن تُسرَق. **فصَلْب المسيح وموته وقيامته**، هو كل ما كان يريده.

لذلك فالمعرفة الحقيقية **بالآباء** تقودنا إلى معرفة أكثر عُمقًا **بالمسيح**، وبالتالي بأسراره المُحيِيَة التي من خلال ممارستها تتعمَّق علاقتنا **بالآب** أكثر فأكثر.

الفكر التأملي عند الآباء:

إنَّ **آباء الكنيسة** لم يتفوَّهوا بشيء من فكرهم الخاص، وإنما كان فكرهم فكرًا تأمليًّا أساسه هو الكتاب المقدس. لذلك جديرٌ بنا أن نُطلق على فكرهم: «الفكر التأمُّلي»، وذلك تمييزًا له عن **الفكر الفاحص الجامد**.

ولقد كان الآباء يعيشون حياة روحيَّة صحيحة يتأملون فيها في كلام **الله** ويبحثون عن هويتهم من خلال علاقتهم بأقانيم الآب والابن والرُّوح القُدُس. وهم في تأمُّلاتهم هذه لم تستَهوِهم الكلمات في حدِّ ذاتها، وإنما هم كانوا يتأملون كلام الله في محضره، وهذا كان يُعطي حياةً للحروف والكلمات، ويهبهم القدرة على استيعاب هذه الحياة، وبالتالي يقودهم إلى محبة الله. وفي جوٍّ مثل هذا، كانت **الصلاة** بالنسبة لهم هي المدخل الحقيقي للتعرُّف على أسرار اللاهوت، وفي ذلك يقول أحد الكُتَّاب الروحيين: «إذا كنت لاهوتيًّا فأنت تصلي بالحقِّ، وإذا كنت تصلي بالحقِّ فأنت لاهوتيّ». فحياة الصلاة لم تُعِقِ الآباء عن دراسة الكلمة، بل كانت تساعدهم على كشف الجزء السرِّي فيها (أي في كلمة الله).

موسوعية فكر الآباء:

لقد فُرِضَ على عصرنا هذا أن يكون عصر التخصُّص في جميع المجالات، وهذا نتيجة التراكم الهائل للمعلومات على مدى آلاف السنين. وبالرغم من فوائد التخصّص العديدة إلَّا أنَّ **الاستغراق الشديد** في التخصّص له بعض الجوانب السلبيَّة، منها أنه يمنع عن صاحبه الخبرات الموجودة في المجالات التي لم يتخصّص فيها. وهذا ينطبق على المجالات **الروحيَّة** كما على **الماديَّة**. ومن هنا تأتي أهمية دراسة **الآباء** التي تعطي للمؤمن نوعًا من المعرفة الموسوعيَّة تمكِّنه من أن يَعِي بحسٍّ روحي سليم كل ما يدور **في الكنيسة**. فالإنسان الرُّوحي المُطَّلِع على **فكر الآباء** هو شخصٌ مقتدر في الفكر، ومقتدر أيضًا في الصلاة وممارسة الفضيلة. لذلك فالوضع المثالي بل والطبيعي، هو أنَّ الشخص صاحب المعرفة الصحيحة يكون في الوقت نفسه هو الشخص الرُّوحاني، وروحانيته تكون نتاج علاقته الصحيحة **بالله الكلمة**.

فاليوم – كما أمس – نحن في حاجة ماسَّة إلى «قديسين ذوي ذهن نقي». وهذه المثالية كان يتمتَّع بها **آباء الكنيسة**، فأقوالهم وحياتهم لا زلنا نتمتَّع بها ونتعلَّم منها حتى الآن، فَهُم كانوا أصحاب كلمة لأن «**الكلمة**» كان ساكنًا فيهم.

خبرة آباء الكنيسة وخبرة النُّسَّاك:

إنَّ أقوال **آباء الكنيسة** يجب أن ننظر إليها على أنَّها «تسابيح»، لأنه إن كنا نتكلَّم عن **الله** فإن كلامنا هذا يجدر به أن يكون تسبيحًا وليس **مجرد وجهات نظر**. فالكلام عن **الله** يُعدُّ تسبيحًا لأنه يحمل من جانبٍ إجلالًا وتكريمًا لعظمته ومحبته؛ ومن جانبٍ آخر، شرحًا لفداء **الله** الذي أتمَّه من أجلنا. وهاتان الخبرتان هما اللتان يصل إليهما المنقطعون للعبادة في البراري، والذي تمنحه هاتان الخبرتان هو تثبيت الاتضاع والإيمان في حياة الشخص. فمَن يفكِّر ويسعى لإدراك عظمة **الله** ومحبته ويُعطي له الإجلال والتكريم اللازم **لابُدَّ** أنْ يحظى **بالاتضاع**. ومَن يشعر بأنَّ **الله** أتى ليفتديه ويُقيمه من الموت، فهذا سوف يقوَى إيمانه ويتثبَّت.

« فتِّشوا الكتب»:

ولقد تناول **الآباء** في الواقع أصعب المسائل، الكتابية منها والمجتمعية، وذلك بصورة بسيطة يستطيع أن يستوعبها مَن له حس روحي وهدف روحي سليم.

لذلك فلا غضاضة في أن نرجع إلى كُلِّ ما كتبوه، إذ أنَّ هذا لا يُعطينا فقط إجابة على أسئلتنا، وإنما سيفتح آفاق قلوبنا على **منهجية الآباء الفريدة** التي كانوا يستخدمونها في تناول الأمور، روحيَّة كانت أم غير ذلك، والتي تمكَّنوا من خلالها من النمو في الروحانيَّة والعلم الكتابي جنبًا إلى جنب؛ أو – إذا شئنا – نقول إنَّ طريقة **الآباء** قد مكَّنتهم من الوصول إلى **قمة العلم الروحاني**.

لذلك فعلينا أن نرجع إلى **الآباء** لنعيش ونتأمل في عمق معرفتهم، وهذا لا يتطلَّب بالضرورة البحث والتنقيب عن المخطوطات التي تحوي أقوالهم، أو إجراء المقارنات والدراسات العميقة في ذلك لأن هذا في الواقع غير مُتاح إلَّا لفئة قليلة. وإنَّما كل ما علينا هو أن ندخل إلى الباترولوجي (علم آباء الكنيسة) ونتبحَّر فيه عن طريق قراءاتنا التأمليَّة في كتاباتهم، وأن نسعى لأن تكون لنا الكلمة مرشدًا وهاديًا كما كانت لهم.

فالمسيح هو هو الأمسُ واليوم وإلى الأبد، ونحن مدعوُّون في كل وقت لأن نشترك في العمل معه. **والرُّوح القُدُس** الذي أنار الطريق أمام **الآباء** هو هو **الرُّوح** الساكن فينا اليوم. **فبالرُّوح القُدُس** وبواسطة **الابن الوحيد** نستطيع أن نتأمل **في الله الآب**. لذلك فلنبدأ الآن، أو كما يقول **القديس غريغوريوس النيسي**:

﴿ من بداية إلى بداية، وإلى بدايات ليس لها نهاية﴾.

(١) اقتباس من كتاب: «**دراسات في آباء الكنيسة**»، **ص ١٧و١٨، وضعه المترجم للتعقيب.**

علاوة على الاهمال في الصلوات، **افتعل الشيطان** أيضًا أسلوبًا آخر للهجوم لكي يسبّب لنا القلق وأي قلق، لذلك علينا أن نجابهَهُ ونقطع الطريق أمامه من هذه الناحية. فماذا دبّر يا ترى هذا **الرُّوح الشِّرير**؟ إنَّه إذا رآكم هكذا متحدّين كما في جسد واحد، ومصغين إلى كلماتنا بانتباهٍ شديدٍ، لم يستطع أن يرسل إليكم بعضًا من خدامه المكلّفين أن يشتتوا أذهانكم حتى لا تصغوا إلينا، لأنه يعرف أنَّه لا أحد منكم سوف يقبل مثل هذه النصائح.

ولكنه **استطاع أن يدّس بينكم لصوصًا وسارقي حقائب** وأكثر من مرّة في أثناء الاجتماع هنا، اختلسوا من أشخاص عديدين المال الذين يحملونه في حقائبهم. وهذا حدث في الكنيسة مرّات عديدة لأشخاص كثيرين. فلكي لا يتكرَّر ذلك مستقبلًا، ولئلا تؤثر خسارتكم للمال مع الوقت على غيرتكم في الإصغاء إلينا، إذ ذهب عددٌ كبيرٌ منكم ضحيّة لهم، أنصحكم وأحثكم جميعًا ألَّا تحملوا معكم مالًا عندما تجيئون إلى هنا، لِكَيْلَا تصبح غيرتكم وحماسكم في الإصغاء فرصة لهؤلاء الذين يقومون **بأعمال الشيطان**، ولِكَيْلَا يذهب الفرح الذي تحصلون عليه من اجتماعكم في هذا المكان نتيجة فقدانكم للمال.

في الواقع، **إنَّ إبليس** قد **حَاكَ** هذا لا من أجل سلب أموالكم، لكن لكي **يفقدكم** بهذه الخسارة المالية وما تسببه لكم من تكدير، **حماسكم لسماع العظات**. وهكذا فقد **جَرَّدَ أيوب** من كل ممتلكاته لا من أجل جعله فقيرًا، وإنما لكي **يجرّده من تقواه**، فلم يكن الغرض الذي يسعى إليه **إبليس** هو حرمان أيوب من ثرواته – فهو يعرف أن هذا لا يساوي شيئًا – وإنَّما **إسقاط نفسه في الخطيئة**، بحرمانها من الخيرات. وإذا لم يصل إلى هذا فلن يعتقد أنه بلغ غايته.

فأنت إذن، أيها الحبيب، إذ قد علمت **نيّة الشيطان**، فعندما يسلبك مالك سواء بواسطة **اللصوص** أو بأيّة وسيلة أخرى، أعْطِ مجدًا لله. وبهذه الطريقة سوف تحصل على النفع الكثير. إذ تكون قد لطمت عدوك لطمة مزدوجة: فمن جهة رفضت أن يتملكك **الغيظ**، ومن جهة ثانية برفعك صلاة الشكر لله.

أمّا إنْ تيقَّنَ من أنَّ هذه الخسارة المالية أثرت فيك وقادتك إلى **التذمر** على **الرَّبِّ**، فلن يوقف أبدًا عملياته ضدك. بل على العكس من ذلك، لو تنبّه أنك ترفع الصلاة شاكرًا الله الذي خلقك بدل **من التجديف** عليه، في كل مرّة تنزل بِكَ المتاعب، فإنه سوف يتوقف عن ضربك بالمصاعب. لماذا؟ لأنه يرى أن اختبار الشِّدَة صار سببًا للشكر، مما يجعلك تنال مكافآت أكثر ويصير إكليلك أكثر بهاءً.

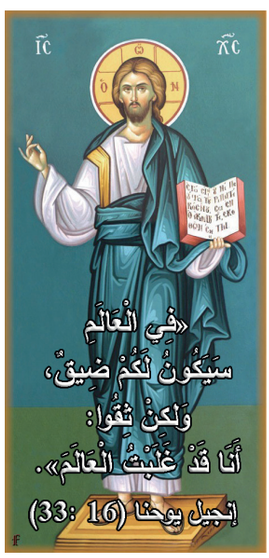

وهذا بالفعل ما حدث **لأيوب**، فبعد أن سلبه ثرواته وأصابه في جسده، ورآه يرفع صلوات الشُّكر، لم يجرؤ بعد ذلك على مُعَاوَدَةِ هجومهِ، لماذا؟ لأنه أصيب بهزيمة نكراء، أمّا رجل الله فقد خرج منتصرًا.

فلا تخافوا إذن، **إلَّا من شيء واحد وهو الخطيئة**.

ولنتسربل بالشجاعة في باقي الأمور مثل سلب المال، المرض، الظروف القاسية، الظلم، والافتراء، أو أي أمر مكروه يمكن أن يحدث لنا، لأن جميع هذه المتاعب يمكن أن تكون بركة ومنفعة لنا إن نحن **تحمّلناها بشكرٍ**، إذ أنَّها ستعود علينا بمكافآت أعظم.

وكلنا يعلم كيف أنَّ **أيوب** بعد أن **وُضِعَتْ على رأسه أكاليل الصبر والشجاعة كلها** استعاد ضِعْفَ ما قد **فقده**. وأنتَ لنْ تستعيد فقط ضِعْفَ خسارتك أو ثلاثة أضعافها، بل مئة ضعف إنْ احتملتها بشجاعة، وَسَتَرِثُ الحياة الأبدية، ليتناكلنا ننال هذا بنعمة وصلاح **ربنا يسوع المسيح** الذي له المجد من الان وإلى الأبد. آمين.

«**لقد كرّستُ زمنًا طويلًا للأباطيل وأضعتُ كُلّ شبابي تقريبًا في الجهد غير المُجدي الذي بذلته لتمثّل علوم حكمة قد جهّلها الله. وعندما أفقت ذات يوم كما من نوم عميق وأدركت عدم فائدة حكمة عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، بكيت طويلًا على حياتي الشقية، وصليتُ ملتمسًا توجيهًا ما**» .

القديس باسيليوس الكبير الرسالة 223

الصلاة الدائمة:

يَحُثّنا **القديس يوحنا الذهبيّ الفم** على الصلاة الدائمة، لأنَّه ما من شيء يؤدِّي إلى الفضيلة مثل أن نتكلَّم دائمًا مع **الله**، وأن نُقدِّم له الشكر دومًا ونسبِّح **الله** بدون فتور. (١).

وكان **الذهبيّ الفم** على مدى حياته كلها يشير إلى أنَّ **داود النبي** مجَّد **الله** بكلماته كما بأعماله(٢). وينصح **القديس يوحنا الذهبيّ الفم** قُرَّاءَهُ، أنه في **أوقات التجارب والمحن والاضطهادات** فلنفعل كما فعل **داود** ونُقدِّم المجد لله ولا نكفّ عن أنْ نباركه (٣). وسواء كُنَّا شيوخًا أو شبابًا، فيجب أن نُقدِّم الشكر لله. وكما يقول **الذهبيّ الفم** ، فإن هذا هو غرض المزمور ١٤٨ أنه يُبيِّن لنا أنه لابُدَّ أن نُسبِّح **الرَّبّ** على كُلِّ شيء، بصرف النظر عمَّن نكون نحن (٤). كما يجب أيضًا أن **نثابر في صلواتنا وتوسُّلاتنا ولا نيأس** إذا لم تُستَجَبْ في الحال (٥).

صلاة التوبة:

أما صلاة التوبة فهي نوع آخر من الصلاة التي تتطلَّب الدوام فيها والمثابرة عليها. فحينما يشرح المزمور ٦ : ٦ «أغسل كل ليلة سريري، وبدموعي أبلُّ فراشي»، يقول **الذهبيّ الفم** إنَّ **المرنِّم** هنا كان يقضي كل حياته في دموع التوبة (٦). وهذا مَثَلٌ لنا في كيف يجب أن نتصرف حينما **نخطئ**: أنْ نفصل أنفسنا عن كل مَن يُخطئ، ونصلِّي إلى **الله** بدموع كل ليلة فوق سرير نومنا (٧). إنَّ **القديس يوحنا الذهبيّ الفم** يرى في المزامير نموذجًا لنا في الصلاة الدائمة. ففي كل ظرف من ظروف الحياة يلتفت **المرنِّم** إلى **الله** بالصلاة. وحينما نثابر في الصلاة فسوف ننال ما نسأل من أجله، إنْ كان نافعًا لنا (٨).

نسأل ما هو نافع حقًّا، وليس الأمور الأرضية:

أنْ نطلب ما هو نافع، معناه ألَّا نطلب **الأمور الأرضية** بل نطلب ما هو حقًّا نافع لنا، هكذا يعلن **القديس يوحنا الذهبيّ الفم**. وصلاة المزمور ١٤٠ (الترجمة السبعينية) هي هذه الصلاة بعينها، ويشير **الذهبيّ الفم** أنَّ **داود** في هذا المزمور لا يسأل شيئًا **ضد أعدائه**، ولا يسأل غِنىً ولا ازديادًا ولا قوةً ولا مجدًا ولا **سائر الأشياء الزائلة**، بل فقط الباقيات والخالدات (٩).

ويأخذ **الذهبيّ الفم** سليمان الملك كنموذج آخر لمن استُجيبت صلاته، لأنه سأل الرُّوحيات. فقد سأل **سليمان** هبة **الذهن الفهيم** ليحكم به شعبه. (٣ ملوك ٣ في السبعينية، وهي تساوي ١ ملوك ٣ في الطبعة المتداولة)، وقد كافأه **الله** على صلاته الروحيَّة هذه فأعطاه حتى ما لم يسأله (١٠). فقد نال ليس فقط الحكمة العالية، بل وأيضًا غِنىً وكرامة عظيمين.

وكما يشرح **الذهبيّ الفم**، فإن **المرنِّم** حينما يُصلِّي: «اهْدِنِي يا رب ببرِّك» (مز٥ : ٩)، فإنَّ هذا السؤال ليس من أجل **أشياء فانية وعابرة** في هذه الحياة، بل من أجل التعضيد من العُلى. لأننَّا ونحن في هذه الحياة، التي هي كمثل طريق، نحتاج إلى **الله** هاديًا لنا ليمسكنا بيده ويُرينا الطريق (١١). ويؤكِّد **الذهبيّ الفم** على أنَّه من الضروري أن نطلب معونة **الله** إنْ كُنا نريد أن ينجح جهادنا (١٢). يقول **المرنِّم** في مزمور ١٤٢ : ١٠ «علِّمني أن أصنع مشيئتك، لأنك أنت إلهي»، فكل صلواته كانت روحيَّة؛ إذ لم يسأل مالًا ولا قوَّة ولا مجدًا، بل أن يصنع مشيئة **الله** (١٣).

وأيضًا في مزمور ١٤٣، يشرح **الذهبيّ الفم**، أنَّ **المرنِّم** يزدري بِكُل **متاع الدنيا** ويُعلن: «طوبى للشعب الذي الله هو إلهه» (مز ١٤٣ : ١٥) (١٤). أما **الشهوات الخاطئة**، والجنوح نحو أمور هذه الحياة والتعلُّق بالأرض، فإنها تُضعف القلب (١٥). **الفضيلة** هي الشيء الوحيد الجدير باقتنائها في هذه الحياة (١٦). هذه هي الأشياء التي علينا أن نسألها في الصلاة، حسب شرح **الذهبيّ الفم**.

ويُقدِّم **الذهبيّ الفم** توسُّعًا في شرح هذه النقطة، وهو يشرح مزمور ١١٨ : ٧، حيث يقول **النبي**: «مُعيني هو بار». ويشرح **الذهبيّ الفم** ذلك: هذا يعني «فليتعاملِ **الله** معي بطريقة بارة (عادلة) لأني لم أسأل شيئًا غير عادل». فإن كُنَّا نريد أن نتمتع بالتعضيد من فوق، فلنسأل فقط ما هو متوافق مع العدل، وذلك حتى من طبيعة هذا التوسُّل نتأكَّد من المعونة الآتية مِن «الذي يُنجِّي المستقيمي القلب» (مز٧ : ١٠) (١٧). لكن صلاتك لن تكون بارة إن سألتَ غِنًى أو جمالًا أو أي نعمةٍ أخرى **عابرة تتصل بهذه الحياة الحاضرة** (١٨).

وحتى إذا كان المصلِّي بارًّا، فقد لا تكون صلاته مستجابة إذا لم تكن

من أجل شيء نافع. هكذا يقول **الذهبيّ الفم** في «شرح مزمور ٧»

﴿لأنه مَن كان أكثر بِرًّا من **القديس بولس**؟ ولكن لأنه سأل شيئًا ليس نافعًا، فلم يُستَجَبْ له. حيث يقول **القديس بولس**: «مِنْ جِهَةِ هذا تضَرَّعتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاثَ مَرّاتٍ أَنْ يُفارِقَنِي.» فقالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعفِ تُكمَلُ».(٢كو١٢: ٨-٩). وأيضًا مَن كان أكثر بِرًّا من **موسى النبي**؟ وهذا أيضًا لم يُسمَع له، حيث قال **الله** له: «كَفَاكَ! لاَ تَعُدْ تُكَلِّمُنِي أَيْضًا فِي هذَا الأَمْرِ.» (تث٣: ٢٦). لأنه كان يسأل **الله** أن يدخل إلى أرض الميعاد، وكان هذا الطلب غير نافع له، فلم يسمح **الله** بذلك.﴾ (١٩)

ملاحظات ختامية:

إنَّ **الذهبيّ الفم** في كتابه شرح المزامير، يتفوَّق في عظاته الرعوية المشهور بها جدًّا. وإنَّ الشروط الستة لاستجابة **الله** للصلاة كما يُعدِّدها في «شرح مزمور ٧» تحيط بكل نواحي الحياة اليومية. فالشخص المُصلِّي قد يكون مستحقًّا لنوال إجابة صلاته فقط **حينما يعيش الحياة الصالحة والتَقِيَّة**. ويحث **الذهبيّ الفم** متواترًا قارئه لسلوك هذه الحياة، بحيث إنَّ كل شيء يقوله **الذهبيّ الفم** يهدف من ورائه أن يجذب الإنسان ليكون أكثر التصاقًا **بالله** وأكثر بُعْدًا **عن الخطيئة**.

ولأن نوعية حياة الإنسان تؤثِّر مباشرة في فاعلية صلاته، فإن كل عظات **الذهبيّ الفم** تتصل بالصلاة. لكن هذه الملاحظات التي تَعقِد رباطًا بين الاثنين: **الحياة والصلاة** تُعتبر بمثابة «خريطة طريق» للإنسان المُصلِّي، وهذا هو ما تُلقي عليه الضوء هذه الدراسة التي نُقدِّمها.

وبنفس الطريقة، فإن الصلاة في توافقها مع شرائع **الله**، والصلاة الدائمة، وعدم سؤال **الأشياء الأرضية**؛ بل سؤال الأشياء التي هي حقًّا نافعة لنا، هي توجيهات يحاول بها **الذهبيّ الفم** أن يدفع القارئ إلى **سلوك الطريق الصحيح** نحو **الله**. وحينما نوفي كل هذه الشروط، فإنَّنا حينئذ فقط نكون قد اشتركنا بكل ما في مقدورنا عمله.

يقول **الذهبيّ الفم** إن غاية كل مجهوداتنا الدائمة، يجب أن تكون ليس فقط أن نُصلي، **بل أن نصلي ونحن في الحالة التي فيها تُستجاب صلواتنا**. ثم يواصل **الذهبيّ الفم** توضيحه، أنَّ الصلاة وحدها ليست كافية لننال ما نسأل من أجله، إن لم نضع في اعتبارنا هذه الشروط التي تجعل صلاتنا مقبولة لدى **الله**. **فالفرّيسي** صلَّى، لكن صلاته لم تنفعه شيئًا. **واليهود** كانوا يصلُّون، لكن **الله** انصرف عن صلواتهم لأنهم لم يصلُّوا بالشروط المطلوبة. لهذا يوصينا **الله** أنْ نُقدِّم له صلاتنا في الوضع الذي يجعلها مسموعة. وهذا هو ما علَّمنا إيَّاه **داود** في مزمور ٦. ومزمور ٦ ليس وحده الموضع حيث يُعلِّمنا **داود** عن الصلاة لكي تكون مُستجابة. ففي كل المزامير – كما يقول الذهبيّ الفم – كان **داود** يحثنا على **معرفة الله** وسلوك الحياة المقدسة (٢٠). إنه يتولَّى دور المعلِّم كما يتولَّى دور **النبي** كذلك، حيث يمزج المشورة بالصلاة أحيانًا (٢١)، وأحيانًا يمزج التشجيع بها (٢٢).

وفي مزمور ١٤٨ يُظهِر لنا **داود** أنه لا يكفي أن نرتل بالتسبيح **لله** بأنفسنا فقط، بل وبكل الخليقة التي يجب أن تشترك في تسبحات الأتقياء: «سَبِّحِيهِ يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ.» (مز ١٤٨: ٣) (٢٣)

وفي شروحات **الذهبيّ الفم** على المزامير التي هي حقًّا صلاة **داود**، فإن هذه الشروحات تُقدِّم ليس فقط حثًّا وإرشادًا على الصلاة، بل هي أيضًا عمل جوهري على ربط الصلاة بشخص **النبي داود** وبتعاليم **القديس بولس الرسول**. إنَّ هذه الدراسة بما فيها من معلومات ليتها تكون نافعة لطالبي الصلاة والحياة الروحيَّة، وكذلك لطالبي دراسة التعليم الآبائي الكنسي وعلم التفسير.

وفي دراسة عن **العهد القديم** يقول الكاتب: «هناك أسفار قليلة في العهد القديم قُرئت أكثر من المزامير، إمَّا لأنها جزء من الليتورجية، وإمَّا من خلال الدراسة الشخصية، وقد بَدَت أنها مُحببة إلى قلوب المؤمنين»(٢٤). وإني أعتقد أن هذا هو المستوى الذي بلغ إليه نبوغ **الذهبيّ الفم** بأكثر وفرة، إذ حيث لمست شروحات **الذهبيّ الفم** «القلب البشري، ودوافعه، وضعفه، أو بشرَّت بنعمة ومحبة **يسوع المسيح**، فهنا يرتفع **الذهبيّ الفم** ويدوم ليصير بحقٍّ «معلِّمًا في إسرائيل.» (٢٥)

وكما تلمس المزامير نفسها **قلب الإنسان**، هكذا أيضًا فعلت شروحات **الذهبيّ الفم** على المزامير.

(انتهى البحث)

([1]) Explanation of Psalm 7, PG 55,104.
([2]) Explanation of Psalm 144, PG 55,465.
([3]) Explanation of Psalm 5, PG 55,71.
([4]) Explanation of Psalm 148, PG 55,492.
([5]) Explanation of Psalm 122, PG 55,351.
([6]) Explanation of Psalm 6, PG 55,76.
([7]) Explanation of Psalm 12, PG 55,153.
([8]) Explanation of Psalm 122, PG 55,352.
([9]) Explanation of Psalm 140, PG 55,429.
([10]) Explanation of Psalm 43, PG 55,174.
([11]) Explanation of Psalm 5, PG 55,66.
([12]) Explanation of Psalm 140, PG 55,431.
([13]) Explanation of Psalm 142, PG 55,456.
([14]) Explanation of Psalm 143, PG 55,463.
([15]) Explanation of Psalm 4, PG 55,47.
([16]) Explanation of Psalm 9, PG 55,128.
([17]) Explanation of Psalm 7, PG 55,95.
([18]) Ibid.
([19]) Ibid.
([20]) Explanation of Psalm 4, PG 55,49.
([21]) Explanation of Psalm 43, PG 55,175.
([22]) Explanation of Psalm 43, PG 55,179.
([23]) Explanation of Psalm 148, PG 55,485.
([24]) عن كتاب:
J. Alberto Soggin, Introduction to the Old Testament, Revised Edition, trans John Bowden (Philadelphia, 1980), p. 363.
([25]) عن مقال:
M. B. Riddle, "St. John Chrysostom As An Exegete", in NPNF, Series 1, Vol. 10, p. xxi (This introductory article was written in 1888).

إنَّ الأمور المختصة بنا هي كائنة في السماوات، وهي أمور سماوية، حتى وإن كانت تتحقَّق على الأرض. **والملائكة** الذين هم على الأرض يدعون سماويِّين. لقد ظهرت **الشاروبيم** على الأرض ومع ذلك فهي سماوية. ولماذا أقول ظهرت؟ إنها تحيا على الأرض كما هي في الفردوس، ولا شيء يمنعها من ذلك، لأنها سماوية. وطننا في السماء «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ» (في ٣:٢٠)، مع أننا نعيش على الأرض. هذه هي الأمور السماوية، أعني بها محبة الحكمة الموجودة بيننا نحن المدعوين إلى هناك ...

إذًا إنْ كُنَّا نحن سماويين وأستحققنا مثل هذا الميراث فلنرتعد، ولا نبقى بعد على الأرض فيما بعد، وقد أصبح ذلك الآن في استطاعة من يريد أن يسمو بأفكاره للسماء، كذلك فإن مسألة تمسُّك أحد بالأرضيات أو عدم تمسكه، هذا يعتمد على طريقة الحياة، وعلى الرغبة والإرادة.

يُقال، على سبيل المثال، إنَّ الله في السماء، **لماذا؟** ليس لأنه محصور في مكان – معاذَ الله – ولا لأنه قد ترك الأرض خالية من حضوره، بل بسبب العلاقة والدالة أو الألفة التي له نحو الملائكة. فإذا كُنَّا قريبين من الله، فنحن في السماء. ومتى أُصبح أنا سماء؟ عندما أرى سيِّد السماء، عندها أصبح سماء. لأنه يقول: «وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا.» (يو ١٤:٢٣).

إذًا فلنجعل نفوسنا سماء. **السماء** ساطعة بطبيعتها، والعاصفة أعجز من أن تُخيلها سوداء، فمنظرها لا يتغيَّر، إلَّا أنَّ السُّحب هي التي تتحرك فتحجبها. إنَّ للسماء شمسًا، ونحن عندنا **شمس البر**. قلتُ أنَّه من الممكن أن نصير كالسماء، وأرى أنه من الممكن لنا أن نصير أيضًا أفضل من السماء. كيف؟ عندما يملك علينا رَبّ الشمس.

إنَّ السماء نظيفة ونقية من كل ناحية، لا يؤثر فيها شتاءٌ، ولا ليلٌ، ونحن أيضًا يجب ألَّا تغيّرنا **لا الضيقات ولا حيل الشيطان**، بل **لنبقى أنقياء وطاهرين**. السماء عالية وتبتعد كثيرًا عن الأرض، هذا ما يجب أن نفعله نحن أيضًا، ولنرتفع نحو هذا السُّمُوّ. وكيف نبتعد عن الأرض؟ بأن نفكر في السماويات. **السماء** فوق الأمطار وأيام الشتاء، ولا تُهزَم من أحد. ونحن أيضًا يمكننا أن نكون هكذا، إن أردنا. **السماء** تبدو فقط أنَّها تعاني، لكنها في الحقيقة لا تتأثر بشيء. إذًا يجب ألَّا نتأثَّر نحن أيضًا، حتى وإنْ كان يبدو أنَّنا نعاني. مثلما يحدث خلال فترة الشتاء، كثير من الناس لا يُميزون جمال السماء، بل يعتقدون انَّها تغيَّرت، بينما أولئك الذين يتناولون الأمور بحكمة يعرفون أنها لم تُصَب بشيء، هكذا نحن أيضًا **خلال فترة الضيقات**، يعتقد الكثيرون أنَّنا تغيَّرنا مع **هذه الضيقات**، وإن الضيقة لمست قلوبنا، أمَّا أولئك الذين يتناولون الأمور بحكمة، يعرفون أنَّ الضيقة لا تُقلقنا.

ينبغي إذًا أن نصير سماء، وَلْنَرْتَقِ إلى هذا العُلوّ إلى حيث لا نعود نرى الناس يختلفون عن النمل، ولا أقصد الفقراء فقط، ولا الأغنياء، بل حتى قائد الجيش أو الملك، فأنا لستُ أميِّزُ الإمبراطور من الإنسان العامي. ولن نهتم لما هو مصنوع من الذهب أو من الفضة، ولا بالملابس المصنوعة من الحرير أو من الأرجوان. يبدو لنا ونحن متطلعون من هذا العُلُوّ أنَّ **كل شيء ذُباب**. لا ضجة هناك، ولا صخب ولا ضوضاء.

وكيف يكون الوصول إلى هذا العُلُوّ ممكنًا، طالما أنَّنا **لا نزال نعيش في الأرض؟** أنَّني لا أكتفي بالكلام، بل إن أردت، سأوضح لك عمليًا أولئك الذين وصلوا إلى هذا السُّمُوّ. **إذًا من هم هؤلاء؟** أنه **بولس** وكل من كان حوله، هؤلاء بالرغم من أنهم كانوا على الأرض، إلَّا أنَّهم عاشوا في السماء. ولماذا أقول عاشوا في السماء؟ لقد كانوا أعلى بكثير من السماء، بل وأعلى بكثير من السماء الثانية، وصعدوا حتى إلى الله ذاته. لأنه يقول: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟» (رسالة رومية ٨ :٣٥)، وأيضًا: «وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى» (٢ كو٤:١٨). أرأيت كيف أنَّه لم يُعْطِ أيَّ اهتمام **للأمور الأرضية؟** ولكي أُبيّن لك أنَّه كان أعلى بكثير من السماوات، إسمع ذاك الذي يقول: « فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤَسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ، وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً، وَلَا عُلْوَ وَلَا عُمْقَ، وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رُومِيَة ٨: ٣٨-٣٩).

أرأيتَ كيف أنَّه بعدما يتجاوز بالفكر كل شيء، يصعد عاليًا، ليس فقط فوق هذا الكون، ولا فوق هذه السماوات، بل وفوق أسمى الكائنات؟ أرأيت مقدار السُّمُوّ الذِّهني؟ أرأيت كيف تحوّل **صانع الخيام هذا**، لأنه أراد هذا السُّمُوّ، وهو الذي قضى كل حياته في السوق؟ بالحقيقة لا يوجد أي عائق، إذ يمكننا جميعًا أن نَعْبُر **كل العوائق**، إن كنا نريد ذلك بالطبع.

لأنه إذا كُنَّا بارعين في فنون تفوق قدرة الكثيرين من الناس، فأنَّنا سَنُحَلِّق أكثر في ما لا يتطلب جُهدًا عظيمًا. أخبرني، هل هناك أصعب من السير **على حبل مشدود**، كما لو على أرض صلبة، تختال عليه وتلبس ثيابًا وتخلعها كما لو كنت على أريكة؟ ألَا يبدو مثل هذا الأداء مُرعبًا لنا لدرجة أنَّنا لا نرغب في النظر إليه، بل نخاف ونرتجف من المشهد ذاته؟ قل لي أيضًا، هل هناك أصعب من أن تضع سارية على رأسك، وأن تُجلس على أعلاها طفلًا، وتقوم بحركات وألعاب عديدة كي تُبهج المشاهدين؟ (**سارية:عمود ينصب في وسط السفينة يعلّق عليه الشّراع، أو عمود يُرفع عليه العَلَم**). وهل هناك أصعب من اللعب مع الكرة بالسيف؟ قل لي هل هناك أعسر **من التنقيب في قعر البحر**؟ يمكن للمرء أن يُحصي فنونًا أخرى لا تُعدُّ، ولا تُحصى. **لكن أيسرها الفضيلة**، إذا شئنا، والصعود إلى السماء.

أمام هذه، يكفي أن تكون لنا **الإرادة**، والباقي كلّه يهون.

لا تقل: أنا لا أستطيع، فإن هذا القول يُمثل **إدانة للخالق**، لأنَّه إذا كان قد خلقنا عاجزين، ثم يأمرنا بعد ذلك أن ننجز المستحيل، فهذا يعتبر إدانة له.

إذًا لماذا **لا يستطع الكثيرون تحقيق الفضيلة**؟ يحدث هذا لأنَّهم لا يُريدون. ولماذا لا يريدون؟ **بسبب خمولهم**. حتى أنَّهم إذا أرادوا، فإنهم سيستطيعون في كل الأحوال. ولهذا فإنَّ **الرسول بولس** يقول: «أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا.» (١كو٧:٧). لأنَّه كان يعرف أنَّ الجميع يستطيعون أن يكونوا مثله، لأنَّه **ما كان له أن يقول هذا الكلام**، إنْ كان تحقيقه مستحيلًا. أتُريد أن تكون إنسانًا يحيا **بالفضيلة**؟ إبدأ فقط. أخبرني حقًا في حالة كل الفنون والأعمال، حين نُريد أن ننشغل بها هل يجب علينا أن نكتفي بالإرادة فقط، أم نسلم أنفسنا للأعمال بنشاط كبير؟ وأقصد بما أقوله الآتي: حين يريد شخص أن يصير حاكمًا، لا يقول «**أريد**» ويكتفي بهذا. بل يُسلِّم نفسه للعمل بكل نشاط. أيُريد أحد أن يصير تاجرًا، لا يقول فقط: «**أريد**» بل يُسلِّم نفسه للعمل. أيُريد أحد أن يسافر أيضًا، لا يقول: «**أريد**»، بل إنه يشرع في هذا العمل. في كل الحالات، لا يَكفي فقط بأن تُريد، بل يجب أن يُضاف إلى هذه **الإرادة**، العمل أيضًا، بينما هنا في المجال الرُّوحي أتُريد أنْ تصعد إلى السماء، وتقول «**أريد**» فقط؟ كيف إذًا تقول يكفي أن يريد المرء؟ **الإرادة يجب أن ترتبط بالأعمال**، يجب أن يتمّ البدء **بالإرادة**، ثم يعقب هذا **جهاد الإنسان**. بالتأكيد يكون **الله** معاونًا ومساعدًا لنا في العمل، فقط يجب أن نشرع في العمل، أنْ نبدأ فيه وأنْ نهتمّ به، وأن نضعه في تفكيرنا، وسيتبع هذا كل الأمور الأخرى. أمّا إذا أستسلمنا **للنوم العميق**، وأنتظرنا لكي ندخل السماء، فلن نستطيع أبدًا أنْ نرث ملكوت السموات، فلتكن لدينا **الإرادة**.

لماذا نفعل كل شيء من أجل هذه الحياة الحاضرة، التي سنتركها غدًا؟

إذًا فلنُفَضِّل حياة **الفضيلة**، التي ستدوم في الحياة الأبدية التي سنعيش فيها إلى الأبد، وسنتمتع بالخيرات الأبدية والتي نرجو أن ننالها جميعًا بالنعمة ومحبة البشر اللتين لربنا **يسوع المسيح** الذي يليق به مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والكرامة إلى الأبد. آمين.

السَفر خطوة خطوة للإنطلاق نحو السَّماء

إثاغريوس البنطي

أنَّه من الأفضل للإنسان أنْ يبدأ من **ضعف** وينتهي **بقوة**، مُنطلقًا من الحالة الصغرى إلى الكبرى، بدلًا من أن يتمسك منذ اللحظة الأولى بسيرة الكمال، **ويتركها في النهاية** – أو أنه يتمسك بها من أجل الناس – فتكون **سيرته باطلة**.

هذا ما يحدث للمسافرين: إذا **أَتْعَبُوا** أنفسهم من أول يوم، مُسرعين في سيرهم، فإنهم سيقضون أيامهم في المرض ويفتُرون. لكن إن انطلقوا ماشين في خطوات لطيفة حتى يجعلوا المشي من عادتهم، فإنهم في النهاية لن يتعبوا حتى لو ساروا مسافات طويلة.

هكذا من أراد أن يدنو من عالم **الفضيلة**، عليه أن يُدَرِّب نفسه بتأنٍّ إلى أن يبلغ الكمال.

فلا تُذهَل أمام الطرق العديدة التي سلكها **آباؤنا القدماء**، كلٌّ سلك طريقًا مُختلفًا عن الآخر. لا تُحاول أن تُقلّدهم **بغيرة مفرطة**، فيُصبح نهج حياتك **فاسدًا**.

بالأحرى، اختَر لنفسك سيرة تلائم وضعك الضعيف.

إنهج هذا النهج فتحيا، لأن **ربّك** الرحيم يقبَلُكَ، لا بحسب إنجازاتك، بل **حسب نيّتك**، تماماً كما تَقبَّل عطيّة المرأة المُعدمة (الأرملة التي قدمت الدرهمين).

«هَذِهِ شَرِيعَةُ الْمُحْرَقَةِ: هِيَ الْمُحْرَقَةُ تَكُونُ عَلَى الْمَوْقِدَةِ فَوْقَ الْمَذْبَحِ كُلَّ اللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَارُ الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ.ثُمَّ يَلْبَسُ الْكَاهِنُ ثَوْبَهُ مِنْ كَتَّانٍ وَيَلْبَسُ سَرَاوِيلَ مِنْ كَتَّانٍ عَلَى جَسَدِهِ وَيَرْفَعُ الرَّمَادَ الَّذِي صَيَّرَتِ النَّارُ الْمُحْرَقَةَ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ وَيَضَعُهُ بِجَانِبِ الْمَذْبَحِ. ثُمَّ يَخْلَعُ ثِيَابَهُ وَيَلْبَسُ ثِيَاباً أُخْرَى وَيُخْرِجُ الرَّمَادَ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ إِلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ. وَالنَّارُ عَلَى الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ. لاَ تَطْفَأُ. وَيُشْعِلُ عَلَيْهَا الْكَاهِنُ حَطَباً كُلَّ صَبَاحٍ وَيُرَتِّبُ عَلَيْهَا الْمُحْرَقَةَ وَيُوقِدُ عَلَيْهَا شَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ. نَارٌ دَائِمَةٌ تَتَّقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. لاَ تَطْفَأُ.» (لا٦: ١٠-١٣).

نار المذبح هي نار دائمة لا تطفأ إطلاقًا، وهي ليست غريبة ولا خارجية بل هي نار إلهية، من أعلى من السماء. ماذا يعني هذا؟ يعني أنَّ مذبحنا المقدس مملوء من مجد الله. فالطبيعة الإلهية السِّرِيَّة تأخذ شكل النار.

هذا المذبح **الإلهي** هو مثال **لعمانوئيل** نفسه الذي بواسطته نصل إلى **الله الآب**، وعلى هذا المذبح نُقدم عقليًّا كذبائح بخور فضائلنا وتقديس حياتنا. لهذا يقول **الرسول**: «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.» (رو١٢: ١).

النيران تنزل على المذبح من السماء ولا تتوقف عن أن تحرق، ولا يحدث أن يخفت اللهب أو يختفي، بل تظلّ دائمًا على المذبح وتشتعل بلا انقطاع. فنار المذبح تصوِّر - كمثال في الظل - **الرُّوح القُدُس** نازلًا في شكل نار فوق **المسيح** مستقرًا دائمًا فوقه. بمعنى أن نار المذبح لا تخبو أبدًا فوقه. إذْ أنَّ **يوحنا المعمدان** قد سبق وشهد عن **المسيح** قائلًا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (يو١: ٣٢) .

وكون أنَّ **الرُّوح** يشبه طبيعة النار يخبرنا عنه **يوحنا المعمدان** متحدثًا إلى **جمع اليهود**: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.» (يو١: ٢٦)، «هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.» (مت ٣: ١١)، إلَّا أنَّنا لا نُعمِّد في نار محسوسة بل **الرُّوح القُدُس** الذي يُشَبَّه **بنار تُزيل دنس النفس**، لأجل هذا مكتوب عن **المسيح**: «وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِيَكُونُوا مُقَرِّبِينَ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ.» (ملاخي ٣: ٢-٣).

إذَنْ نار المذبح لا تُطفأ لأنَّ **الرُّوح القُدُس** استقر فوق **المسيح**، بالرغم أنَّه موجود فيه بحسب الطبيعة لأنه هو في الواقع **الله** ذاته. أيضًا كُلّ من تقدس بالإيمان باسم **يسوع المسيح**، يصير بالتالي مُتَقَبِّلًا **للرُّوح القُدُس** ويصير هو نفسه أيضًا مذبحًا **لله!**

ولهذا فإنَّ كُلّ الذين كرسوا حياتهم **للمسيح** يجب ألَّا يفقدوا أبدًا نار **الرُّوح القُدُس**، لكن يحفظوا هذه النار داخلهم بغير انطفاء. يجب عليهم ألَّا يجعلوا **برودة الرغبات والشهوات العالمية تطفئها**، بل عليهم أنْ يُجَدِّدوا هذه العطية بانتظام في ذهنهم بالتقديس، من خلال محبتهم **لله** والرغبة في **الفضيلة**. هذا هو نموذج العبادة الرُّوحيَّة المُنتظر **من كل المسيحين**.

ذبيحة المحرقة يجب أن تحترق على المذبح نهارًا وليلًا، لأنها تشير إلى رائحة **المسيح** التي لا تنتهي. ورائحة **المسيح** هذه ترتبط أيضًا **بحياة القديسين**، التي تشبه **ذبيحة المحرقة** التي تعكس رائحة **المسيح** في تَقْدِمَتِهِم لحياتهم بحسب الإنجيل ذبيحة لله.

إنَّ ذبيحة المحرقة تشير إلى التكريس الكامل للقديسين المُتميِّزين.

«فلنشترك إذن، بكل ثقة، في جسد المسيح ودمه. إنَّ جسده يُعطَى لك تحت شكل الخبز، ودمه يعطى لك تحت شكل الخمر، وإذ أنت تشترك في جسد المسيح ودمه، تصبح جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا مع المسيح. وهكذا نصبح نحن «حاملي المسيح»، بما أنَّ جسده ودمه ينتشران في أعضائنا، وبهذه الكيفية نصبح - على حدِّ تعبير الطوباوي بطرس - «شركاء الطبيعة الإلهية».

القديس كيرلس الأورشليمي القرن الرابع - عظة 22

العفة وضبط النفس

للقديس
يوحنا الذهبيّ الفم

في الواقع، أكثر شيء ينبغي أن يكون موضع عنايتنا واهتمامنا **بالنسبة للشباب** هو ضبط النفس والجِدِّيَّةُ، فهذا الأمر يُمثِّل بشكل خاص مشكلة لمن هم **في هذه السن**.

يجب أن نكون حريصين **مع الشباب**، كما نفعل مع المصابيح. فنحن كثيرًا ما نعطي تعليمات إلى الخادمة عند تعاملها مع المِصباح، بعدم أخذه حيث يوجد القش أو التبن أو أي شيء من هذا القبيل، لِئلَّا تسقط شرارة دون علم لنا فتمسك في تلك المواد وتشعل النار في البيت كله. دعونا نأخذ هذا الإجراء الوقائي **مع الشباب** أيضًا، وأنْ لا نلفت انتباههم حيث توجد **خادمات خليعة، فتيات متبرجات، عَبدَات فاسقات**، بدلًا من ذلك، دعونا نعطي التعليمات والنصائح لو كان لدينا مثل هذه الخادمة أو مثل هذه الجارة، أو شيء آخر من هذا النوع، بعدم الدخول في حوار مع الشباب، لئلا تسقط شرارة ما، فتبتلع **نفس الشاب، وتصير المصيبة غير قابلة للإصلاح**.

(وينبغي لنا أن نمنعهم عن **الأصوات الخليعة والمخنثة**، لئلا تنخدع نفوسهم وتضل بواسطتها، ولا ينبغي علينا أن نأخذهم إلى المسارح والولائم أو الحفلات (الماجنة). **بل يجب حماية الشباب كما العذارى**، فلا شيء يُزيِّن هذه السن مثل إكليل ضبط النفس، والقبول على الزواج بشكل خالٍ من كل إفراطٍ وعدم اعتدال.

هكذا أيضًا، المرأة سوف تكون مرغوبة أكثر للشاب عندما يكون ليس لديه أي تجربة سابقة في الزنا، أو تم إفساده، وذلك عندما يعرف **الشاب فقط الفتاة التي ارتبطت به في الزواج**. كذلك أيضًا يكون العُشَّاق أكثر توهجًا، والاحترام أكثر أصالة، والعاطفة أكثر اتقادًا، وذلك عندما يتقدم **الشباب إلى الزواج بهذا النوع من الاحتراس والعفة**.

على أية حال، ما يحدث في هذه الأيام، **ليس زواجًا بل صفقات تجارية وحفلات**. عندما **يفسد الشباب** حتى **قبل الزواج**، وبعد الزواج لا يزال **يتطلعون** إلى النساء الأخريات، **فما نفع الزواج**، أخبروني؟ لذا **فالعقاب يكون أشَّد، والذنب لا يُغتفر**، عندما يكون غير مُخلِص لزوجته **ويرتكب الزنا** على الرغم من أن زوجته تعيش معه. أعني أنه **بعد الزواج** حتى لو **كانت المرأة التي تُفسِّد الرجل المتزوج هي مومس، فهي حالة زنا**.

هذا يحدث، **ويأخذون لأنفسهم فاجرات**، لأنهم لم يمارسوا **ضبط النفس قبل الزواج**. **هذا هو مصدر العراك، والإساءة، والبيوت المحطمة، والمشاجرات اليومية**. هذا هو **سبب إنحسار واحتضار المحبة نحو الزوجة**، لأنَّ الصلة **بالفاجرات** يُنهي عليها. أمَّا إذا تعلَّم **ممارسة العفة وضبط النفس**، سوف يعتبر إمرأته مرغوبة أكثر من أي واحدة أخرى، وسوف ينظر إليها **بٱستحسان شديد، وسوف يُحافظ على الانسجام والتناغم معها، وحيثما يكون سلام ووئام تأتي إلى البيت جميع الخيرات**.

أجنحة الحمامة – للقديس مكاريوس الكبير

وكما أنَّ الإنسان إذا رأى عصفورًا يطير، فإنه يشتاق أن يطير هو أيضًا، ولكنه لا يستطيع، لأنه لا يملك أجنحة يطير بها.

كذلك أيضًا فإنَّ إرادة الإنسان حاضرة، وقد يشتهي أن يكون نقيًّا، وبلا لوم، وبلا عيب، وألَّا يكون فيه شيء من الشَّر، بل أن يكون دائما مع اللهِ، ولكنه لا يملك القوة ليكون كذلك.

وقد تكون شهوته هي أن يطير إلى الجوّ الإلهي، وحرية الرُّوح القُدُس، ولكن لا يمكنه ذلك إلَّا إذا أُعطيت له أجنحة لتحقيق هذه الغاية.

فلنلتمس من اللهِ أن ينعم علينا بـ «أجنحة الحمامة» (مز ٥٤)، روحه القدوس، حتى «نطير إليه ونستريح»، ولكي يفصل الريح الشريرة ويقطعها من نفوسنا وأجسادنا، تلك الريح التي هي الخطيئة الساكنة في أعضاء نفوسنا وأجسادنا. ليس أحد غيره يستطيع أن يفعل هذا الأمر. فهو وحده « حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو ١: ٢٩).

أنه وحده الذي أظهر هذه الرحمة لأولئك الأشخاص الذين يؤمنون به، إذ أنه يخلصهم من الخطيئة، وهو يحقق هذا الخلاص الذي لا يُنطق به، لأولئك الذين ينتظرونه دائمًا، ويضعون رجاءهم فيه، ويطلبونه بلا انقطاع.

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار
لأبينا القديس كيرلُّس رئيس أساقفة أورشليم
في العُمَّادِ : المراسيم الافتتاحيّة

العظة الثالثة والعشرون
الخامسة في الأسرار – في القداس الإلهي (تتمة)

٤) – إرفعوا قلوبكم الى العلاء:

بعد ذلك يقول الكاهن بصوتٍ عالٍ: «إرفعوا قلوبكم الى العلاء». لأنَّه حقًّا يجب علينا في هذه الساعة الرهيبة ان نرفع قلوبنا الى الله وألَّا نتركه على الأرض مُنهَمِكًا بالهموم الدنيوية. فالكاهن يأمرنا في تلك الساعة بأن نطرح عنَّا الهموم، لا سيِّما الهموم المنزليَّة، وأن نرفع قلوبنا الى السماء نحو الله المحب البَشر. حينئذ نُجيبون: «إنَّها لدى الرَّبّ». وانتم بهذا الاعتراف تُعلنون انَّكُم أطعتم الأمر. فلا يَقُل احد الحاضرين بفمه: «إنَّها لدى الرَّبّ»، بينما فكره مشغولٌ بهموم هذه الحياة. مِن واجبنا ولا شَكّ أن نَذكُر الله في كُلّ حين. فاذا استحال علينا ذلك بالنظَر لضعفنا البَشَري، فعلينا ان نذكره على الأقل في هذه الساعة.

٥) – واشكروا الرَّبّ:

ثُمَّ يقول الكاهن: « لِنَشْكُرَنَّ الرَّبّ ». أَجَلْ علينا ان نَشكر الرَّبّ، لأنّه على الرغم من عدَم استحقاقنا، دَعانا الى مثل هذه النعمة العظيمة، وصالحنا معه بعد أن كُنَّا اعداءه، لأنه وَجَدَنا جديرين لروحِ ٱلتَبَنِّي (رومية ٨: ١٥). فتجيبون: «ذلك حقٌّ وعدل»، لأنَّنا عندما نشكر الله نقوم بعمل حقّ وعادل، بينما هو لا يفعل العدل فقط، بل يتجاوزه الى حَدٍّ غريب، عندما يغمرنا بالخيرات، ويجعلنا جديرين بمثل هذه الهبات العظيمة.

٦) – جميع الخلائق تشكر الرَّبّ:

ونذكر بعد هذا: السماء والارض والبحر، الشمس والقمر والنجوم، وكُلّ الخليقة العاقلة وغير العاقلة، المنظورة وغير المنظورة. وكذلك الملائكة ورؤساء الملائكة، القوّات والسيادات، الرئاسات والسلاطين، والعروش والشاروبيم ذوي الوجوه الكثيرة (حزقيال ١٠: ٢١). ونقول بحماس مع داود النبيّ: «عَظِّموا الرَّبّ معي» (مز ٣٣: ٤). ونذكر كذلك السيرافيم الذين رآهم اشعيا بالرُّوح القُدُس. قائمين حول عرش الله، فبجناحين يسترون وجوههم وبجناحين يسترون ارجلهم وبجناحين يطيرون قائلين: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبّ الجنود» (اشعيا ٦: ٢-٣).

ونحنُ نُرتِّم هذا النشيد الذي وصل الينا من السيرافيم، حتى باشتراكنا بهذا النشيد، نتَّحد بالجيوش السماويَّة.

٧) – الاستحالة تحصل باستدعاء الرُّوح القُدُس وصلاة المؤمنين:

ثُمَّ بعد ان نكون قد تقدّسنا بهذه الاناشيد الروحيَّة، نتوَسَّل الى الله المُحب البَشَر أن يُرسِل روحه القُدوس على القرابين الموضوعة، لكي يجعل الخبزَ جسَدَ المسيح، والخمرَ دمَ المسيح. لأنَّ كُلّ ما يمسُّ الرُّوح القُدُس يتقدَّس ويتحوَّل.

٨) – الابتهالات من اجل الكنيسة وجميع المحتاجينَ:

ثُمَّ بعد إتمام الذبيحة الرُّوحيَّة والعبادة غير الدمويَّة على هذه الضحيَّة الاستعطافيَّة، نتوسَّل الى الله من أجل السلام المشترك في الكنائس، من اجل التوازن في العالم، من اجل الملوك والجيوش والحلفاء، من أجل المرضَى والمحزونين، وبوجهٍ عام، من أجل جميع الذين هُم في حاجة الى معونة، نُصَلِّي جميعًا ونقدِّم هذه الذبيحة.

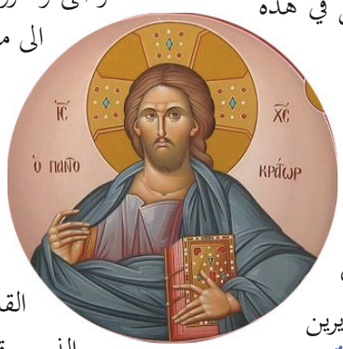

٩) – تذكار الرَّاقدين:

وبعد ذلك، نذكر أيضًا جميع الذين رقدوا: أوَّلًا الاجدادَ والانبياء، الرسل والشهداء، لكيما يتقبّل الله طلباتنا بصلواتهم وشفاعاتهم. ثمَّ نُصَلِّي من أجل الآباء القديسين والاساقفة الذين رقدوا، وعمومًا لأجل جميع الذين رقدوا قبلنا؛ ونحن مقتنعون بأنَّ هنالك فائدة عظيمة للأنفُس التي لأجلها نرفع هذه التوسّلات، بينما تُقام الذبيحة المقدّسة الرهيبة.

١٠) – الصلاة لأجل الرّاقدين تفيدهم:

وانا اودّ أن أُقنعكم في هذا الصدد بمَثَل ، لأنِّي أعلم انَّ هناك كثيرين مَن يقولون: ما الفائدة لنفس خرجت من هذا العالم، خاطئة كانت أو غير خاطئة، ان نذكرها وقت التقدمة الافخارستيّة؟ لنفرض مثلًا انَّ مَلِكًا نفَى اشخاصًا أهانوه، وبعد ذلك أتى أهل المنفيين ليقدّموا للملك تاجًا صاغوه خصيصًا له ليعفو عن المحكومين، أَلَا يستجيب الملك طلبهم بترك القصاص؟ كذلك نحنُ، عندما نتوَسَّل الى الله من أجل الراقدين، حتى ولو كانوا خطأة، لا نصوغ له تاجًا، بَلْ نُقدِّم المسيح المُقَرَّب لأجل خطايانا، وهكذا نسترضي الله المُحبّ البشَر لأجلهم ولأجلنا.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثالث عشر

«وتَواضع الرُّوح مع الوداعاء خيرٌ من اقتسام الغنيمة مع المتكبرين» (أمثال ١٦:١٩).

«أمَا تعلمون أنَّا سَنُدِين الملائكة، فبالأحرى نقضي في أمور هذه الحياة». (١كور ٦:٣).

لحُسن حظّ نكتاريوس لم يتمّ انتخابه بطريركًا. مع أنَّ الشعب هناك كان معه، ولكن ليس الاكليروس. كانت الملكة أولغا تتمتَّع بنفوذٍ كبير، كونها شقيقة القيصر، وعندما وصَلَ نكتاريوس استُقبِلَ ببرودة شديدة وكأنَّهُ غريب، وكَأَنَّ حضوره يسبّب مشكلة لم يُحسَب لها حِساب. وأخيرًا تمَّ انتخاب فوتيوس، الذي أوصت به الملكة أولغا.

وعندما عادَ نكتاريوس، وجد عند الأعيان تعاطفًا كبيرًا، وعند أصدقائه خيبة أمل عظيمة. أمَّا هو فقد كان يشعر بارتياح داخلي، وكأنَّه اجتاز نفقًا مُظلمًا انتهى منه إلى غابةٍ مُخْضَرَّةِ الأشجار. وكان يحسّ بسلام وارتياح ويقول في كُلّ لحظة: «المجدُ للرَّبّ» وتبدو على وجهه ابتسامة طفوليَّة. وفي كُلّ لحظة كان يشكر **سيِّدتنا والدة الإله** بحرارة من أعماق القلب.

وفي مساء أحد الأيام سأله صديقه كوستي بحزنٍ ومرارة ودون حَماس: «ماذا تُريد أن نفعل ببذلتك الاحتفاليَّة التي في الحقيبة يا صاحب السيادة».

فرفع إليه نكتاريوس نظرات شاردة، وكأنَّهُ لم يفهم ما يقول. فتابع كوستي:

– «ها أحضرها إلى هنا يومًا ما».

– «وهل يزعجكم وجودها؟ ».

– « آه يا الهي، بالطبع لا».

فأجاب نكتاريوس مُبتسِمًا:

– «حسنًا لِتَبْقَ عندكم إذن». وتابعَ:

– « لن أرتدي هذه الملابس يا قسطنطين. أَلَا تعرف المثل: الكاهن هنا وجبّته هناك»؟

فدهش ساكوبولوس لكلّ ذلك وتساءل: كيف يجد نكتاريوس السبيل للمزاح والابتهاج في مثل هذا الظرف؟

ومرَّت السنوات الواحدة بعد الأُخرى حاملة معها موكب الجهادات والأحزان. لم يَكُن يمرّ يوم دون صعوبات ودون مرارة ومفاجآت وفضائح صغيرة.

وفي مساء من أواخر الشتاء تشاجَر الكَنَّاس مع مُساعده الذي كان مُكلَّفًا بأعمال صعبة أُخرى. ووصل بهما الأمر إلى القتال بالأيدي تحت شجرة السرو في الحديقة. وكان ذلك بسبب تنظيف المراحيض، فقد بقيت قَذِرَة منذ الليلة السابقة على الأرجح. وقد لاحظَ الناظر ذلك، وهدَّدَ بنقل الخبر إلى مجلس المدرسة، مع احتمال الطَرد. وكان نكتاريوس يَمُرّ في ذلك المكان بالصدفة حاملًا مسبحته وهو يُصَلِّي من أجل مشكلات كثيرة، يبكي ويصمت، غير عابئ بالبَرد. وكان يفكِّر أيضًا **باستشهاد القديسين**، وخصوصًا **قديسه المحبوب ميناس الصانع العجائب** الذي كان والِدَاه وثنيين. وإذ نَظَرَ إلى الأشجار العارية من الأوراق، تساءل:

– « لماذا يرفضون استدعاء مُدرِّس للزراعة؟ ».

وفوجِئَ لصراخ الكنَّاسَيْنِ وشتائمهما، فسأل بصوتٍ عذب:

– «ماذا يحدث هنا؟ ».

ولم يَكُن الرَّجُلَان يتوقعان حضوره في مثل هذه الساعة وفي هذا البرد. فارتَبَكَا وابتعدَا عن بعضهما بصمت ودون كلمة. وأخيرًا تمتم المساعد الأصغر سِنًّا، الذي بالكاد يظهر شارِباه الدقيقان، بعض الكلمات، وفَهِمَ نكتاريوس فحوى المشكلة: كثيرًا ما كان ينهض باكرًا جدًّا فيجد المراحيض قَذِرة، وإذ يحجم عن التسبب بمشكلة يمكن أن تؤدي إلى طرد العامِلَيْنِ وإلقائهما في الشارع، كان يُشَمِّر عن ساعِديه وينظِّف المراحيض بصبر ودون كلمة، خصوصًا وأنَّه كان ينسى أمرَ الأعمال الكريهة ما أن ينتهي منها.

فقال نكتاريوس:

– « هيَّا ... انَّه لمن المشين أن تشتما بعضكما مثل أولاد الشارع. وأنتَ يا ميشال، إنَّكَ مسؤول عن أعمال التنظيف فلا تُلْقِ مسؤولياتك على الأصغر منكَ».

ثُمَّ سادَ الصمت، فقال نكتاريوس:

– « حسنًا، وبما أنكما كسولان ولا تقومان بالأعمال المنوطة بكما، فسأضطر للقيام بها هي أيضًا. ما العمل؟».

فتمتم الكنَّاس مذعورًا:

– « ماذا؟ أنتَ تطردنا يا أبتِ ؟».

– إنَّ ضميري لا يسمح لي بمعاقبتكما بهذا الشكل. اطمئن، سأقوم بهذا العمل بنفسي بكل بساطة.

(التتمة في العدد القادم)

القديسة تقلا، أول الشهيدات والمعادلة للرسل

الابوليتيكية للقديسة تقلا على اللحن الرابع:– انَّ نعجتك يا يسوع تصرخ اليك بصوتٍ عظيمٍ قائلةً: اليكَ اصبو يا عروسي. وإيَّاكَ اطلب في جهادي. وأُصلَب وأُدفَن معك بمعموديتك. واكابد الآلام من اجلك لكي أملك معك واموت فيك لكي احيا بِكَ. فتقبَّل التي ضُحيت لك عن ارتياحٍ كذبيحةٍ لا عيب فيها. وبشفاعاتها خلّص يا رحيم نفوسنا.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122